روائع المسرح العالمى

٥٣

الابن الأكبر

تأليف : جون جلزورذى

ترجمة : حسن عبد المقصود حسن

مراجعة وتقديم : أحمد خاكى

روائع المسرح العالمى

٥٣

الابن الأكبر

تأليف : جون جلزورذى

ترجمة : حسن عبد المقصود حسن

مراجعة وتقديم : أحمد خاكى

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

بقلم : أحمد خاكى

---

(١) جون جلزورذى أديبا

ألف جون جلزورذى فى نوعين من أنواع الأدب أولهما الرواية أو القصة الطويلة وثانيهما المسرحية وقد حاز نوعين من أنواع الشهرة : أحداهما شهرته ككاتب انجليزى كانت له سمعة يعتد بها فى الثلث الأول من القرن العشرين وثانيتها شهرة عالمية ، فقد اعترف به أديبا عالميا حين منح جائزة نوبل فى الآداب فى سنة ١٩٣٢ أى قبل أن يتوفى بسنة واحدة .

وقد ولد فى عام ١٨٦٧ فى بيت من بيوت الطبقة الوسطى الموسرة اذ كان أبوه محاميا ناجحا . وتخرج فى بعض المدارس الخاصة التى جعلت لأبناء الأثرياء من أمثاله وانتقل قدما الى كلية نيوكولدج بأكسفورد حيث تخرج فى القانون سنة ١٨٨٩ ، ولعله كان يراد به أن يمضى على آثار أبيه فيصبح محاميا له شأنه فى عالم القانون . وقد ظل محاميا ناجحا سنة أو بعض سنة ولكنه هجر المحاماة والقانون والقضاء بعدها وارتحل

ليجوب العالم قبل أن يوطد العزم على أن يكون أديبا وروائيا وكاتبا للمسرحية .

وظهرت أولى محاولاته فى قصة نشرها تحت اسم مستعار اسمها « چوسلين » فى سنة ١٨٩٨ ولكن مرت عليه فترة بعد ذلك كان يعد نفسه فيها ليخــرج ثلاثة من أروع القصص الانجليزى وأشدها مساسا بحياة الانجليز وأحدها نقدا ، وهى الثلاثية التى أطلق عليها « سيرة آل فورسيت » وهذه السيرة الطويلة تضم ثلاث قصص ظهرت أولاها فى سنة ١٩٠٤ واسمها « جزيرة المرائين » وظهرت ثانيتها فى سنة ١٩٠٦ واســمها « صاحب الأملاك » ، وظهرت ثالثتها فى نفس السنة واسمها « الصندوق الفضى » ، ولم تكن هذه القصص الثــلاث الا وصفا لثلاثة أجيال من آل فورسيت . نشأ الجيل الأول فى منتصف القرن التاسع عشر وكان جيلا موسرا يعشق الجمال والفن ولكنه جيل يتمثل فيه النفاق ، وكانت هذه « جزيرة المرائين » وأعقبه جيل آخر ورث المال عن سلفه ولكنه لم يقتنع بما ورث بل لقد كان نهما يريد أن يستكثر من الأرض والمال بأى سبيل ، وكانت هذه « صاحب الأملاك » وخلف هؤلاء خلف اتبعوا شهواتهم فى المال والخمر والنساء ودب اليهم التفكك والانحلال ، وكانت هذه هى « الصندوق الفضى » .

وفى كتابة هذه الثلاثية استطاع جلزورذى أن يحلل المجتمع

الانجليزى فى قرن أو بعض قرن ، وليس غريبا أن يتخرج فى الطبقة الوسطى الموسرة من يقـــوم بنقدها وتحليلها والزراية بنفاقها وريائها وما طبعت عليه من الباس الباطل حقا والحق باطلا . فقد كان أغلب الأدباء من النقـــاد من الطبقة الوسطى الموسرة . ذلك لأن أفرادا من هذه الطبقة يشعرون دائما بمقدار الحيف والجور الذى يقع على غيرهم من أبناء الشعب من الطبقة الفقيرة أو الطبقة الوسطى محدودة الدخل . وقد كان أول من نادى بالاشتراكية وحقوق العمال فى انجلتره « روبرت أوين » وكان هو نفسه موسرا يملك مصانع بأكملها ، كذلك كان المسرحى الألمانى « هويتمان » من هذه الطبقة ، وهو الذى نقد أصحاب المصانع فى مسرحيته « النساجون » .

ويكاد يكون اتجاه جون جلزورذى فى كتابه « ســيرة آل فورسيت » اتجاها اشتراكيا بالمعنى العلمى — فهو فى ثلاثيته هذه ينقد الحياة الاجتماعية فى الأجيال الثـــلاثة التى ذكرناها على أساس اقتصادى . ولعله كان و « برناردشو » من أوائل الكتاب الانجليز الذين أدركوا العلاقة الوثيقة بين المال وبين الحياة ، وأنه اذا لم يكن هناك مال عند فرد من الأفراد أو طبقة من الطبقات فهو لا وزن له ولا خلق ولا علم ولا صحة ولا دين . وقد آمن مع برنارد شـــو أيضا أن المال الذى هو

ضرورة من ضرورات الحياة قد ينقلب الى أذى واثم اذا هو استكثر منه الفرد أو احتكرته طبقة من الطبقات . وليست سيرة آل فورسيت من بعض وجوهها الا مثلا من أمثلة التطور الذى حاق بأسرة انجليزية بدأت اقطاعية ثم انقلبت الى أسرة تكدس المال وتكاد تعبده ثم انحدرت الى أسرة اخترمها الترف وتدلى بها الى مواطن الهلاك وليس هـذا التطور نفسـه الا ما وصفه الاشتراكيون العلميون : من قيام الطبقة الوسطى الموسرة واقامة سلطانها على بقايا الاقطاع ، ثم قيام ذراريها بجمع المال ، ثم انحدارها أخيرا لتقوم بعدها أمة من الناس تدعو الى التوازن فى بناء المجتمع .

ودفع العالم الثمن غاليا حين قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ . فقد نشبت هـذه الحرب ، كما تنشب أكثر الحروب ، نزاعا حول الثروة ، وحين أفاق العالم من هـذه الضربة اللازبة ، خرجت هذه الطبقة الوسطى الموسرة وهى أضعف ايمانا وأبعد ضلالا وأقل علما بالأمور . وكان جلزورذى قد كتب مسرحيات هادفة ناقدة لكنه أخرج من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٩ ثلاثية أخرى من القصص أطلق عليها « كوميديا العصر الحديث » : أولاها « القرد الأبيض » سـنة ١٩٢٤ وثانيتهـا « الملعقـة الفضـية » سـنة ١٩٢٦ وثالثتهـا

« أغنية البجعة » سنة ١٩٢٨ . ولم تكن هذه القصص الا امتدادا لسيرة « آل فورسيت » وفيها أيضا نفس الاتجاه الناقد ونفس الهدف الذى ظل يتوخاه ربع قرن أو يزيد . ثم كتب ثلاث قصص أخرى فى سنة ١٩٣٢ هى «البرارى المزهرة» و « عذراء فى الانتظار » و « عبر النهر » .

تلك بعض لمحات فى قصص جون جلزورذى كان علينا أن نقدم بها حديثنا هذا حتى ندرك الاتجاه العام للكاتب . فاذا نحن الآن عالجنا النوع الآخر من الأدب الذى ألف فيه وهو الكتابة المسرحية وجدنا أنفسنا أمام فيض من المسرحيات التى كتبها وهى تبلغ الأربع وعشرين عدا تضمها ست مجموعات . وتسرى فى هذه المسرحيات جميعا هذه الأفكار الأساسية الأولى التى ذكرنا طرفا منها فى حديثنا عن « سيرة آل فورسيت » .

وكل مسرحية منها تعالج مشكلة اجتماعية متخذة من الحياة العامة فى العصر الذى عاش فيه ، ولنضرب أمثلة لتلك المسرحيات التى ألفها ولتلك المشكلات التى تضمنتها مسرحياته:

ففى مسرحيته « الصندوق الفضى » يظهرنا جلزورذى على أن هناك قانونين — قانونا يتعامل به الأغنياء وقانونا آخر يتعامل به الفقراء . وليست مسرحيته « كفاح » الا صراعا بين رأس المال والعمل ، فهى مأساة عمال المناجم الذين كانوا يعملون فى

باطن الأرض ينبشون عن الفحم ثم اذا رفض أصحاب المناجم مطالبهم أضربوا عن العمل فنالهم من الجوع وزمهرير الشتاء ما ضاعف بؤسهم . وفى مسرحيته « العدالة » يصور القانون فى بعض أحكامه وكأنه سيف مصلت على رءوس الفقـراء فهو لا يصلح فسادا ولا يقوم اعوجاجا . واذا أخذت الفقراء بالبطش لأقل ما يقترفون من ذنب فانك لن تخلق منهم الا أشرارا تتحجر قلوبهم ولن تزيد ذراريهم الا امعانا فى البؤس والشقاء . وفى مسرحية « اللعبة الغادرة » صراع بين فئتين من طبقة الموسرين : أصحاب الأملاك أولا ورجال الأعمال ثانيا . وهنا يبدو المكر والدهاء من الجانبين . ويحمل چون جلزورذى على التفرقة العنصرية فى مسرحية « الـولاء » ، ويصـور فى مسرحيته « الحمامة » حيرة الفنانين فى مجتمع لا يأبه للفن ، وكذلك يصور فى مسرحيته « الرعاع » نفسا خيرة مثالية تريد أن تصلح من رفاقها ومعاشريها .

وأنت ترى من هذه الأمثلة التى ضربت لك أن جلزورذى كان أديبا يقظا يحس المشكلات التى تتفاقم فى المجتمع الذى يعيش فيه ويتعمق دراستها ويصورها على لســان شخوصه المسرحية . وتكاد حين تمعن النظر فى مسرحياته جميعا أن ترى ثنائيات يتناقض كل أمر فيها مع نقيضه : فصاحب العمل الى

جانب والعمال الى جانب آخر ، وأصحاب القانون الى جانب والآثمون الذين اضطرهم الفقر الى اقتراف الاثم الى جانب آخر ، وأصحاب الأملاك والعقار الى جانب ومنافسوهم من أصحاب الأعمال الناشئين الى جانب آخر . وكل هذه المشكلات كما أسلفت كانت مشكلات متخذة من حياة الواقع فى المجتمع الانجليزى . أما شخوصه المسرحية فهى جميعا من الشخوص التى كانت تعيش من حوله وتطوف فى حياة المجتمع وتمشى فى الأسواق .

على أننا ينبغى أن نعيد هنا ما أسلفنا ذكره فى صدر هذا الحديث ، وهو أنه كان لجلزورذى شهرة عالمية الى جانب شهرته فى موطنه . ومن المحقق أن أهل بلده قد أقبلوا على قراءته فى قصصه ومسرحياته لأنه كان يعالج مشكلات تجول فى نفس كل محب منهم للحقيقة . لكنه كان لكتابات جلزورذى ناحية انسانية عامة استطاعت أن تمتد الى خارج انجلتره وخارج البلاد التى تتحدث بالانجليزية فقد كان يكتب عن نفس تؤمن بالعواطف الانسانية السامية . فعلى الرغم من أن مسرحياته تقع حوادثها فى بيوت الانجليز أو مصانعهم أو محاكمهم ، وعلى الرغم من أن شخوصه المسرحية من الانجليز الا أن لكتابته قيمة عالمية لأن آراءه وأحكامه تصدر عن قلب تملؤه الشفقة وعن فكر انسانى مثقف تحدوه الحكمة .

كان مرهف الحس يشفق على الفقير والمسكين والمظلوم ، وكان يضع نفسه فى موضع هؤلاء حين يعرض لهم فى مسرحياته، ومن هؤلاء كان أرقاء الأرض ممن عاشوا تحت سيطرة الاقطاع ومنهم أيضا كان أرقاء المصانع ممن استبعدهم الاقطاع الصناعى الثانى . وكانت الرحمة التى يكتب بها عن أولئك وهؤلاء هى التى جعلت منه أديبا عالميا . وهذه النزعة الانسانية هى التى تجعل الأدب سائغا لقراء الأرض جميعا . وسواء كتب الأديب عن بلده أو مدينته أو قريته فانه لابد أن يجد لما يكتب استجابة فى الجمهورية الفكرية الفاضلة فى هذا العالم ما دام ذلك الذى يكتبه نابعا من شعوره الانسانى الخالص فان الشعور الانسانى لا يعرف حدودا ولا قيودا .

لكننا نخطىء اذا حسبنا أن جون جلزوردى كان ينساق وراء عاطفته تلك أو أنه كان يمضى بعيدا فى شطحات الخيال فهو كاتب واقعى فى قصصه ومسرحياته ، وهو لا يجعل للموجدة ولا للحقد ولا للغرام سبيلا ينحرف به عن جادة الحكمة والاتزان . وقد يجد بعض النقاد أن هذا عيب من عيوبه ككاتب ولكن ينبغى أن نذكر أنه لم يكن كاتبا رومانتيكيا ولم يكن يميل الى المبالغة ولا للاغراق فى الخيال ولا للتهويل فى تصوير الحقائق .

كان جلزورذى كما قدمنا صاحب ثقافة قانونية وكان أبوه كما أسلفنا محاميا لامعا ولعل هذه النشأة القانونية هى التى أثرت فيه حين كان يصدر أحكامه بل لعل هذه الثقافة القانونية هى التى طبعت أغلب مسرحياته بطابع القضايا القانونية . فهو يعالج كل مشكلة من المشكلات التى تعرض لها فى نزاهة القاضى العادل وهو يبرز « الحيثيات » من جانبى كل مسألة قبل أن ينتهى الى رأى ، بل لعله لا ينتهى الى رأى ولا الى حكم فانه يتلو حيثياته تلك فى رصانة القاضى ثم يدع قارىء المسرحية أو مشاهدها ليفكر معه وينتهى الى رأى اذا أراد .

ولأنه كان قانونيا ولأنه كان يتحرى العدل فقد جاءت مسرحياته خالية من الخيال الواسع أو العاطفة المشبوبة . بل كانت مسرحياته نابعة عن فكر قانونى سليم يسرد الحقائق ويصور المواقف تصويرا واقعيا لا أثر للمبالغة فيه . ثم انه كان كاتبا أخلاقيا انسانى النزعة ينتصر للمعذبين ويدعو الى التسامح ويتصف بشجاعة الرأى وكل هذه صفات رشحته لأن يكون أذيبا عالميا .

(٢) مكانته فى التأليف المسرحى

وراء مسرحيات جلزورذى تاريخ طويل للتأليف المسرحى ينبغى أن نقف قليلا عند بعض نقطه حتى نستطيع أن نضع جلزورذى فى موضعه من العهد الذى ألف فيه .

وكانت قد عبرت المسرحية الانجليزية قرنا من الزمان : من منتصف القرن الثامن عشر الى منتصف القرن التاسع عشر وهى خيالية رومانتيكية لا تكاد تربطها صلة بحياة الواقع : كان المسرحيون خلال ذلك القرن ذوى نزعة خيالية يميلون الى المبالغة فى تصوير العواطف . بعضهم كان يطير الى الماضى السحيق فيلبسه لباسا من الرواء والجمال وبعضهم يحلق فى سماء البلاد البعيدة فيضفى عليها زخرفا وبهاء » . وكان الحب هو الموضوع الأول الذى دارت حوله المسرحيات الرومانتيكية. وكانت المسرحية بموضوعها وقصتها وشخوصها بعيدة عن حياة الواقع .

ولكن حدثت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حركة ضد هذه النزعة الرومانتيكية . وقد شملت هذه الحركة المضادة القصص والشعر كما شملت المسرحيات . كانت الحركة الجديدة تتجه اتجاها واقعيا ، وكانت تتجه فى المسرح بنوع خاص الى أن تعالج الحياة التى يعيشها الناس فى الواقع . وقد بدأت هذه الحركة ، حينما قام « هنريك ابسن » فى النرويج وحين ذاعت مسرحيات ابسن فى فرنسا وألمانيا ، وحين بلغت — متأخرة قليلا — شواطىء انجلترة .

وحين تفتحت أعين الأدباء الانجليز على هذه الحركة

الواقعية التى طافت بغرب القارة الأوروبية اختلفوا فى النظرة اليها واشتعبوا دونها فئات . فبعضهم مثل برنارد شـو اتبع « هنريك ابسن » مع كثير من التحول ، وبعضهم ازورّ عن ابسن لكنه نظر الى الحياة الانجليزية الارستقراطية وأراد أن يصورها ، وفئة منهم حاولت أن تصور حياة الشعب الانجليزى بما كان يصطخب فيه من ألوان الكفاح ، وما كان يضطرب فيه من أنواع الصراع . وكان من الفئة الأولى برنارد شو كما قدمنا ، وكان من الفئة الثانية « أوسكار وايلد » ، وكان من الفئة الثالثة ، « جون جلزورذى » .

والتحـول فى التأليف المسرحى من الرومانتيكيـة الى الواقعية يعنى تحولا من عنصر الوهم الى عنصر الحقيقة ، تحولا من عنصر الذاتية الى عنصر الموضوعية ، تحولا من عنصر التخيل الى عنصر التفكير ، تحولا من موضوعات الحب والدسيسة والخداع والمفاجأة الى موضوعات تعالج مشاكل الفقر والجوع والجهـل والنفاق والمرض . لذلك تخرجت مدارس بأكملها وهى تؤمن بأن وظيفة المسرح هى التأديب والتهذيب والسعى الى اصلاح الحياة الاجتماعية والاقتصادية عن طريق الفكر .

كان جلزورذى أحد الأدباء الذين كتبوا على هذا الأساس

الواقعى . لذلك خرجت مسرحياته وهى صور من الحياة العامة التى كان يعيشها الناس فى عصره . ولمثل هذا التأليف المسرحى الواقعى ميزاته لأنه يبرز مشكلات المجتمع ويدعو الى التفكير فيها . ولكن لعله ليس هو كل ما يشتمل عليه فن المسرح . فمسرحيات جلزورذى قصيرة الخيال قليلة الحيل المسرحية . فلا تنتظر فيها شعرا أو ما يشبه الشعر ، ولا تنتظر فيها فترات من الموسيقى ، ولن تجد فيها وسائط للتعبير المسرحى ، وهى تكاد تخلو من العنصر الرمزى . بل هى ما كان يسميه اميل زولا « قطعة من الحياة » . وقد تصبح المسرحية اذا خلت من كل ذلك ندوة تتلاقى فيها الأفكار وتتلاقى فيها العقــول ، ولكنها فى نظر كثير من النقاد ليست هى الفن المسرحى فى ذروته أو كماله .

* * *

كان نقد الحياة الاجتماعية والسياسية فى انجلترة هدفا من أهداف الكتابة عند جلزورذى سواء فى تأليف القصة أو تأليف المسرحية . وهو يشترك مع كثير من الأدباء فى عصره فى هذا النقد . كان فى الحياة الانجليزية فى ذلك العصر كثير من المظاهر الخادعة التى تخفى وراءها صورا من الحياة المريرة المعذبة . كانت تطوف بين الطبقات الموسرة أفكار قيمة عن الاصلاح

الاجتماعى والسياسى والاقتصادى لكنها كانت مجرد أفكار لم يتح لها التحقق . وكانت هناك نظم عامة أريد بها الاصلاح لكنها لم تكن الا واجهة تخفى الحقائق البشعة .

كان أهل الدين يبشرون بالدين فى الكنائس ويحضون الناس على انفاق المال للمسكين وابن السبيل ، لكن قليلا من الناس من كان يلبى دعوة الدين . وكان المعلمون يعاملون الأطفال والأمهات فى بطون المناجم على الرغم من دعواهم بأنهم من الأتقياء الصالحين . ثم كان أهل السياسة يحتكرون لأنفسهم المجد والمال ويخفون كل ذلك تحت ستار من البرلمانية الزائفة التى سموها ديموقراطية . ثم كان هناك القانون ، وهذا القانون فى نفسه لم يكن الا لحماية المميزات التى انفردت بها طبقة من الطبقات والا لارهاق الطبقات الأخرى الفقيرة أو الجاهلة أو المعذبة فى الأرض .

وهنا نعود مرة أخرى الى جلزورذى وثقافته القانونية . فعنده أنه لم يظهر نفاق الطبقة الموسرة أكثر مما ظهر فى نظرتها الى القانون . وكأنما قد تكاتف أهل الدين وأهل السياسة وأصحاب المال وأصحاب العلم فخلقوا لأنفسهم قانونا يحميهم ويحمى أملاكهم فى المحاكم ويدعون اليه من على منابر الكنائس ومنصات المجالس النيابية . وهذا القانون هو

نفسه الذى يحكم التعليم فى المدارس ، ويسيطر على العلاقة بين أصحاب العمل والعمال فى المصانع . وهو القانون الذى صاحب الرأسمالية فى نشأتها وجعل للمال سلطانا يسيطر على دقائق الحياة . ولأن أصحاب الدين والسياسة والمال والعلم كانوا قد نشأوا على هذا القانون وآمنوا به وعاشوا فى ظلاله فلم يكن ما ينادون به من اصلاح الطبقات الفقيرة أو الجاهلة الا أمانى . ولم يكن دفاعهم عن حقوق هذه الطبقات الا نفاقا ورياء . وهذه الفكرة الأصلية هى التى تسرى فى كتابات جون جلزورذى ومنها مسرحياته .

هذه الفجوة بين نظرة الطبقة الموسرة الى القانون وبين القانون الصحيح كانت من الموضوعات التى تناولها أدباء ومسرحيون قبل جلزورذى وبعده .. فقد تناولها قبله « تشارلز دكنز » فأشار الى حالة الفقراء فى ظل القوانين التى كانت تبيح للدائن أن يسجن المدين ، وكانت تفتح الملاجىء للعجائز والغلمان ليموتوا فيها وئيدا .وتناولها كذلك برناردشو فى أغلب مسرحياته ، ولكن فى سخرية تفوق كثيرا ما كتبه دكنز .

ولكن الذى يميز كتابات جلزورذى هو أنه كان يقرب هذا الموضوع الأساسى وهو مشبع بروح العدالة التى قضى

طيلة حياته وهو يستوحيها وهو فى أغلب كتاباته يدعو الى أن توضع القوانين للجميع ، وألا يكون هناك ميزة لطبقة على طبقة عند تطبيق القانون ، وان يكون فى القانون نفسه نواح من الانسانية والرحمة بحيث يوضع التسامح فى موضعه اذا كان فى التسامح اصلاح للخارجين على القانون .

(٣) مسرحية « الابن الاكبر »

ا ـ نواحى المسرحية وشخوصها

كتب جون جلزورذى مسرحية « الابن الأكبر » فى سنة ١٩٠٩ ومثلت لأول مرة فى سنة ١٩١٢ ، ولا نريد أن نقول أنها خير ما أنتجه جلزورذى فى التأليف المسرحى ، بل لعلها تأتى فى المحل الثانى بعد مسرحيتى « كفاح » و « العدالة » . ولـكن أهم ما تمتاز به هذه المسرحية أنها جماع ما أسلفنا ذكره من اتجاهات جون جلزورذى وفكرته عن الفن المسرحى.

انها احدى عائلات الطبقة الوسطى الموسرة التى نشأت فى الريف الانجليزى . ورب العائلة « سير وليم تششير » : رجل فى نحو الثامنة والخمسين ربى فى أحضان النعمة وقد ولد فى هذه البقعة من الأرض ليجد نفسه عينا من أعيان الريف، ورث أرضا وعقارا ، وورث الى جانب ذلك التقاليد والعادات والأساليب التى كان عليها أسلافه . واستـكثر من الأرض

والمال وأصبحت له ذرية من ولدين وثلاث بنات . وله زوجة تشاطر زوجها حياته وأفــكاره وآراءه وتقاليده .

وليس لسير وليم بعد ذلك مهنة خاصة ولا هو يؤدى وظيفة عامة للمجتمع الذى يعيش فيه . انه يشغل وقته فى الصيد والقنص ، ويهتم بجياده أكثر مما يهتم بمن حوله من أهل الريف . وقد درج ولداه وبناته وذوو قرباه وأنسباؤه على هذا اللون من الحياة . فان حديثهم يدور دائما عن حفلات القنص التى يقيمها أعيان الريف فى بعض المواسم . فاذا هم انتهوا من حديث القنص بدأوا حديثا آخر عن الثعالب التى كانوا يطاردونها ، واذا هم انتهوا من حديثهم ذلك دخلوا الى غرفة البلياردو ليلعبوها . فهى أسرة من الأغنياء المتبطلين ، وهم فى نظر رجل من أمثال برناردشو أشد أغنياء الأرض ضررا .

ولهذا السيد الغنى ولدان كما قدمنا هما « وليم تششير » وأخوه « هارولد » . ويتجه النظر الى « وليم تششير » أو « بيل تششير » وهو الابن الأكبر ، اذ باسمه سميت هــذه المسرحية . انه شاب ربى كما ربى أبوه من قبل ، فهو صورة منه لولا أنه أكثر عنادا . وهو فى هذه السن التى يميل فيها أمثاله الى الفساد والاتلاف . وتنعقد على بيل الآمال كمـا

تنعقد الآمال دائما على الابن الأكبر ، فهو الذى سيرث مجد الأسرة وهو الذى سيحفظ عاداتها وتقاليدها وجاهها ، وهو الذى يبذل له المال ويكتب باسمه العقار . ويريد أبوه أن يمضى ولده فى آثار أسلافه ، بل يريده أن يكون عضوا فى مجلس العموم حتى يقف أمام الاشتراكيين والراديكاليين الذين كانوا يهددون الطبقة الوسطى الموسرة . كل ذلك أريد لهذا الفتى . لكن الفتى خيب آمال أبيه وأمه وذويه . فهو مثقل بالديون وهو لا يكاد يحسن عملا ، وهو قد بلغ السن التى قد ينحرف فيها ويهوى فى الحضيض ويهوى معه اسم الأسرة .

والابن الأصغر لسير وليم تششير هو « هارولد » ، وله الى جانب الولدان ثلاث بنات : كبراهن ــ واسمها كريستين ــ متزوجة من رجل من رجال هذه الطبقة اسمه « كيث » والوسطى ــ واسمها « جين » ــ مخطوبة لقسيس اسمه « لاتر » ، والثالثة عذراء اسمها « دوت » . وهؤلاء جميعا يكادون يعيشون فى جوهم الريفى الارستقراطى غافلين عن حياة من دونهم من أفراد الطبقات الدنيا .

لكن فى دار « آل تششير » من يمثل هذه الطبقة الدنيا: انهم الأتباع والخدم الذين يقومون على خدمة السادة . قوم

كرسوا أنفسهم على أن يمهدوا لسادتهم كل وسائل النعمة والراحة ، فيهيئون لهم كلاب الصيد ،ويعنون بالجياد،ويعدون لهم معايش الحياة . وأهم هؤلاء الأفرادرجل هو كبيرهم اسمه « ستدنهام »قضى فى خدمة هذا البيت خمسة وعشرين عاما ، وهو الخولى الأكبر الذى يشرف على الخدم جميعا . وبينه وبين أهل البيت علائق وشيجة تسمح له بأن يتحدث اليهم فى صراحة وأن يدلى بآرائه من غير حرج . وستدنهام بعد كل ذلك ذو شخصية قوية وهو يمثل أفراد الطبقة الدنيا ممن تعلموا فى مدرسة الدهر معنى الكرامة واحترام النفس . فاذا كان سير وليم تششير يمثل الطبقة الموسرة ممن ورثوا الاقطاع فان ستدنهام يمثل طبقة الشعب الناشئة التى كانت تتكون فى غرب أوروبا فى أوائل القرن العشرين لتتسلم زمام الأمور ، ولتكافح الفروق التى كانت تفصل بينها وبين الطبقة الموسرة الحاكمة . ثم انها هى الطبقة التى كادت تستنيم لأوضاع الاقطاع لولا أن الأقطاع نفسه أسخطها بما عنده من قوانين وتقاليد وبما كان يشوب سلوك أصحابه من حب الأثرة والميل الى الظلم فثارت على هذا الاقطاع وبقاياه واتخذت الاشتراكية سبيلا .

والخولى ستدنهام فتاة فى الثانية والعشرين اسمها

« فريدا » تمتاز بالجمال والنعومة فى وقت معا . وأهم ما يميز شخصيتها أنها نشأت فى كنف أبيها على التمسك بالكرامة واحترام النفس . فهى لم تنشأ على حدقولها كما تنشأ الكلاب التى كان يربيها أبوها فتعتاد التملق والتسول اذا هى علقت من أذنابها ، بل لقد نشأت فريدا ستدنهام على أن لها خلقا مستقلا يمثل بنات الريف من طبقة الأتباع . ولا ينقص من قدرها أنها خادم خاصة أو وصيفة لربة البيت . فهى التى كانت تشرف على حاجات ليدى تششير وتهيىء لها أسباب الراحة .

وفى دار آل تششير الى جانب أولئك فتى من الخدم اسمه « دننج » كان يمكن أن نهمله اهمالا تاما لولا أنه طرف من أطراف الموضوع فى المسرحية . ودننج مساعد من مساعدى ستدنهام يشرف على بعض الخيل ويهتم بشئون الصيد والقنص . وليس له من كيان فى هذه المسرحية الا أنه شخص من عامة القوم يسعى لرزقه ، ويعتمد فى رزقه على الدريهمات القليلة التى يتناولها من صاحب البيت الكبير ونعلم أنه عرف فى القرية المجاورة فتاة من صنفه اسمها « روز تيلر » ستكون هى أيضا طرفا من أطراف الموضوع .

تلك هى الشخوص التى تروح وتغدو فى المسرحية التى

بين أيدينا . تستطيع أن ترى فيها صورا منتزعة من الحياة الانجليزية فى ذلك العهد .. فآل تششير يبلغون درجة من اليسر والرخاء والبطالة ما كان يميز أعيان الانجليز . وهم يتصرفون حسب قواعد خلقية افتعلها أسلافهم واتبعوها اتباعا حرفيا لأن هذه القواعد هى التى كانت تحفظ لهم سلطانهم وجاههم.

وكان جلزورذى واقعيا فى تصوير هذه الشخوص وكان واقعيا فى تصوير الأماكن وكان واقعيا فى الحوار بين كل فريق منهم وكل فريق آخر . فلغتهم هى لغة السادة من أبناء هذه الطبقة الذين تعلموا فى مدارس خاصة ــ وحتى لغة الخدم نفسها لا تكاد ترى فيها لحنا الا قليلا . فالواقعية هى الأساس الأول والأخير الذى قامت عليه المسرحية .

ب - موضوع المسرحية

تقع جريمة الزنا بين الفتى والفتاة ، ولا شك أن الشرائع والقوانين جميعا تحرم هذه الفاحشة وتعاقب عليها .

وموضوع المسرحية هى هذه الجريمة من ناحيتها الاجتماعية ، أما الناحيتان الخلقية والدينية فانهما تأتيان عرضا فى معرض الحديث عن ناحيتها الاجتماعية . فاذا حدثت هذه الجريمة بين فتى وفتاة من طبقة واحدة ولتكن هى الطبقة الدنيا فماذا يحدث ؟ ان الغالب أن يتفق الفتى والفتاة

على الزواج ، فان فى هذا اخفاء لفضيحة قد تهدم الفتاة قبل أن تهدم الفتى . ثم افرض أن نفس الحادث قد وقع بين فتى وفتاة هما الاثنان من الطبقة الارستقراطية ! ان الذى يحدث فى الغالب هو أن ينعقد الزواج أيضا ليخفى معالم هـــذه الفضيحة . هناك فى كلا الحالين قانون غير مكتوب يحدد الأوضاع والمواقف اذا حدثت مثل هذه الجريمة : فالطبقتان تتفقان فى ذلك ، فلا فرق بين الطبقة الارستقراطية وطبقة العامة عند اتباع هذه العادة التى أصبحت فى حكم التقاليد أو هذه التقاليد التى أصبحت فى حكم القانون غير المـــكتوب .

وتختلف الحالة أيضا اذا كان لهذه الجريمة ثمرة . فاذا مضت هذه الفاحشة من غير جنين فان الموقف يكون أخف وقعا على الجانبين . ولـــكن الذى يزيد الأمر سوءا ويدفع الناس من الناحيتين الى حل سريع انما هو ذلك الطفل المقبل. عند ذلك يكون الزواج هو الحل الموفق حتى تخفى الفضيحة ويؤمن مستقبل الطفل فى وقت معا .

لـــكن الزواج من ناحية أخرى حادث اجتماعى ، ولا يمكن أن يكون هو الحل الأول والأخير لمثل ذلك الانحراف الزواج فى أصله عقد بين الرجل والمرأة ، وهو عقد قائم على الحب والوفاق والوئام ثم هو تمهيد لبناء بيت تسكنه أسرة

من أب وأم وبنين وبنات . فهل تـكون هذه الساعة من ساعات الاثم كافية لأن تعقد هذه الصلة وأن تحدد مستقبل هذه الأسرة ؟

ولـكن ماذا يحدث اذا وقعت هذه الجريمة بين فتى من طبقة ارستقراطية وبين فتاة من طبقة الشعب ؟ وماذا تـكون النتيجة اذا كان هذا الفتى يمثل فى حياته ومقامه جاه أسرة بحالها وتقاليدها وعاداتها ؟ هل تقره أسرته على أن يتزوج من هذه الفتاة كما تواضع الناس وكما يقضى بذلك هـذا القانون غير المكتوب ؟ سنرى أن دون ذلك ستقوم عقبات كأداء ، وأن المشكلة التى تدور حولها المسرحية هى هـذه المشـكلة بالذات ، وأن الآراء التى تبادلها شخوص المسرحية تنم عن اختلاف كبير جدا فى التفـكير وأن الاختلاف ناشىء فى الأصل من اختلاف الناس بين طبقة وطبقة ، ومن اختلاف الأمزجة ودرجة الثقافة ، والمهنة التى يمتهنها كل واحد منهم .

ففى الجو الارستقراطى الذى يعيش فيه آل تششير يقع هذا الاثم بين فتى اسمه « دننج » وفتاة اسمها « روز تيلر » . والفتى خادم فى بيت آل تششير والفتاة تسكن القرية المجاورة . وتـكون هناك فضيحة فى هذه القرية لأن « روز » تنتظر جنينا ويصل خبر الفضيحة الى أسماع السادة وهم فى لهوهم . ويبدى كل واحد من أهل هذا البيت رأيه فى هذا الحادث

فبعضهم يذهب الى أنه لا مناص من أن يتزوج الفتى «دننج» من الفتاة « روز تيلر » ، وبعضهم يعترضون على ذلك ويودون لو يترك الأمر للفتى . ولكن الاتجاه العام هو أن الزواج أمر محتم لأن رب البيت نفسه يرى هذا الزواج ويأمر به ويتشدد في هذا الأمر ، وما دام رب البيت قد أمر فلم يكن هنــاك مناص من أن يكون ما أمر به .

حينما نما خبر هذه الفضيحة الى أسماع آل تششــير تحدث عنه الذكور منهم قبل الاناث . فهنا برزت المشــكلة وتحدثت عنها كريستين الى زوجها كيث . فهى آسفة لأن دننج لا يرغب في الزواج من المرأة التى أضر بها . أما كيث فهو لا يهتم بالأمر كثيرا ولا يرى أن نتيجة ذلك يجب أن يكون الزواج . ثم يبرز الموضوع مرة أخرى بين ربة البيت ليــدى تششير وبين ابنتها الصغرى العذراء وهى «دوت» ، وتحاول السيدة أن تخفى الأمر عن ابنتها ولكن الابنة تتراوح فى آرائها بين الاثبات والنفى فهل يتزوج دننج من روز تيلر من غير أن تكون بينهما آصرة من أواصر الحب والألفــة ؟ وهل يحتم الطفل المقبل أن ينعقد الزواج بينهما ؟ ثم هل مل كل واحد منهما الآخر بعد هذه الفعلة المشينة ؟ ويستمر الحديث مرة أخرى بين « كيث » وبين « لاتر » ، و « لاتر » قسيس متشبع

بمبادىء الدين — فوجهة نظره هى الوجهة الدينية ، فهو يقرر أن رفض دننج الزواج لا يمكن الدفاع عنه ، وأنه اذا أخطأ رجل فى حق امرأة فعليه أن يصلح هذا الخطأ ، وأن موقف دننج من كل ذلك موقف من ينتهز فرصة الضعف عند المرأة وأن هذا اثم كبير لم يرد النهى عنه فى كتب الدين فحسب ، بل لقد ورد أيضا فى بعض كتب الأدب مثل ما جاء فى أسطورة « فاوست » . ويرد كيث على كل ذلك بأن وجهة نظر « لاتر » ليست الا وجهة مهنية لم يتخذها الا لشعوره بالطهارة والتقوى، لأن « لاتر » لم يكن الا قسيسا .

وتبرز المشكلة مرة أخرى فى لقاء بين سير وليم تششير وستدنهام كبير الخدم من ناحية ، ثم بينه وبين زوجه ليدى تششير من ناحية أخرى . فهو يلقى ستدنهام ويتحدث اليه عما اقترفه دننج فيقول انه لن يسمح لأحد خدمه أن يعيث فسادا فى القرية من غير وازع ولا رادع ، وأن عليه أن يتزوج الفتاة، وحين تتدخل ليدى تششير الى أن الفتاة أقل من الفتى من الوجهة الاجتماعية وحين تتساءل هل من الخير أن يفرض عليه الزواج فرضا ، يصيح رب البيت قائلا : ان هناك قانونا غير مكتوب فى مثل هذه الأمور . بل انه ينذر دننج أنه سيفصل من خدمة البيت فى ظرف أربع وعشرين ساعة ان لم يتزوج

الفتاة . ويحمل ستدنهام هذا الانذار بوصفه كبير الخدم . ثم هو حين يستدعى الفتى دننج الى حضرته يكرر هذا الانذار ويضع طرده من وظيفته فى كفة واذعانه للزواج من الفتاة فى الكفة الأخرى .. وقد جاء فى بعض حديثه للفتى : ان هذه هى عادة البلاد .

* * *

نحن لا زلنا فى الفصل الأول ولكن أنظارنا تتجه الى شخص آخر هو الابن الأكبر بيل تششير . وقد أسلفنا فعرفنا أى آمال انعقدت على بيل تششير . وفى حديث بين الولد وأبيه نرى مدى هذه الآمال .. فالولد مسرف مضياع والأب يصور له الحياة التى تنتظره ! فسيكون له مورد لا يكاد ينضب من المال وسيكتب له بيت بأسره ثم سيتخذ زوجة من بنات الأشراف تشاركه المال والجاه . وسيرث عن أبيه معدات الصيد والقنص والسباق ثم سيكون عضوا فى مجلس العموم حتى يقف أمام الطبقة الناشئة من الراديكاليين ، فالرجل يحس أن أصحاب الأرض لن يصمدوا كثيرا أمام هذه الروح الجهنمية التى يسمونها « ديموقراطية » . كل هذا يروح ويغدو فى حديث الأب لأبنه . فالمشكلة من أساسها فى نظر الأب مشكلة مالية وهى أيضا مشكلة الطبقة التى هو منها لأنه حريص على

أن يضمن الجاه والاسم والسمعة وأن تنتقل هذه جميعا من بعد وفاته الى ولده الأكبر .

ولكن لا ينتهى هذا الفصل حتى يلتقى الابن باثنتين هما مس ميبل لانفارن وفريدا ستدنهام . وحسبنا أن نعلم أن الأولى من أسرة شريفة يريد آل تششير أن يقترن بها ابنهم الأكبر بيل حتى تتكامل لديه كل نواحى الأرستقراطية الشريفة. ولكننا نجد بينه وبينها جفوة لا تبشر بالزواج . أما الثانية فريدا ستدنهام فهى الفتاة الرقيقة الناعمة التى لا تنتمى الى أسرة شريفة ولا تدعى مالا ولا جاها ، انها ابنة الخولى الأكبر ستدنهام . وتشعر عند لقاء بيل تششير بفريدا استدنهام أن أمرا قد حدث بينهما ، وأنهما على علاقات ليست مجرد علاقات السيد بابنة الخادم ، وتفضى فريدا الى بيل تششير بأنها تنتظر مولودا ، وترد اليه خاتما ماسيا كان قد أهداه اياها . بل هى تذكر له أنه يستطيع أن يكون حرا حتى يقترن ببنت الشرف والمجد مس لانفارن ، وأن العلاقة بينهما لن تكون كما كانت من قبل ، بل تذكر له أيضا أنها لن تفكر فى احراجه ولا استغلال الموقف فهى — كما قالت — ليست كمثل فتاة القرية . ويهبط الستار فى آخر الفصل الأول . وفى البيت الكبير مأساة تشبه المأساة التى حدثت فى القرية الصغيرة بين دننج وروز تيلر .

وننتقل الى الفصل الثانى فاذا الابن الأكبر يظهر غير قليل من عواطف الحب والنخوة . ففى لقاء مع فريدا يفضى اليها بأنه لا يزال يحبها ، وأنه ليس من الشر ولا ضعة النفس بحيث يتركها فى هذا المأزق . بل هو يعلن لأمه أن تفاجئهما أنه قد خطبهما وأنه سيتزوج منها ، وأن الأمر بينهما قائم على الحب ، وأنه اذا حالت التقاليد دون زواجهما فهو يعتزم الهجرة الى كندا ، وليس يهمه بعد ذلك أن يكون وريثا للشرف ولا للجاه ولا للمال .

وليدى تششير التى كانت فى صباح ذلك اليوم تؤيد زواج الخادم من ابنة القرية تقول عن مثل هذا الزواج انه مستحيل ، وان مثل هذه الزيجات تنتهى دائما بالبؤس والشقاء . وهى تخلو الى فريدا لتدلها على وجه الاستحالة فى مثل هذه العلاقة . فهو ولدها الأكبر وهو ينبغى أن يتزوج من المحيط الذى أعد ليعيش فيه ، وهى تحث فريدا على أن تتخلى عنه لأن النساء فى مثل حالتها يصرن أغلالا فى أعناق الرجال ، وأنه لا بأس عليها اذ هى عانت ما تعانى لأن الفتيات فى مثل حالتها يجب أن يتحملن وزر ما اقترفن ، وانه لو كانت فريدا من بنات الأشراف لتغير الموقف تغيرا تاما — لأنه فى هذه الحالة لم يكن هناك مشكلة من الطرفين . وترد عليها فريدا بأنها ما زالت على حبها

اياه وانها لم تكن حقا كفئا له ولكن لها كيانها الخاص ، وأنه لا ينبغى أن تكون الفجوة بين طبقتيهما داعيا لاحتقار أمرها أو الزراية بها ، ثم تذكرها فريدا بموقفها من زواج روز تيلر !

* * *

وحين يسرى هذا الخبر الى أخوات بيل تششير وذوى قرابتهن فان الآراء تتخالف مرة أخرى ، وهى فى نفس الوقت تختلف بعض الاختلاف عن الآراء التى أبديت فى مبدأ الأمر عندما وقع حادث دننج وروزتيلر . فقد وقف بيل تششير يعلن لأخواته أنه قد خطب وصيفة أمه ! فكان لكل واحدة منهن رأيا يختلف عن الأخرى . أما دوت الصغيرة فانها الوحيدة بين أخواتها وأبويها التى تؤيد مثل هذه الزيجة . بل هى تقدّر فى فريدا مزايا لا توجد فى سيدات الطبقة الارستقراطية الشريفة . ثم انها توازن بين أخيها وبين فريدا فترى أن الأمر يتعلق بفريدا وحدها ، لأنها فى مكان قد يكون أرفع من مقام أخيها . والرأى عند كريستين أنه يجب أن يبذل كل جهد للحيلولة دون هذا الزواج . اذ أنهم — اذا تمّ مثل هذا الزواج — سيصبحون أضحوكة فى أعين الناس جميعا ، وهى تسأل أمها أن تتوسل الى فريدا أن تتخلى عنه ، لأن بيل تششير لن يتخلى هو عنها . ثم ان الرجال يختلفون أيضا فى تقـدير الموقف ، على أن

القسيس « لاتر » لا يزال عند رأيه من أنه يجب أن يتزوج بيل تششير من فريدا .

* * *

وينتصف الفصل الثالث فتسرع المسرحية الى ذروتها ، وتتعقد المشكلة حين يعود سير وليم تششير من صيده ويعلم بالحادث الذى وقع بين ولده وبين فريدا . ويلقى زوجه منفرداً وقد أخذ الغضب بأكظامه . فهو يهتز سخطا على ولده وهو يصب فى أذنى زوجه رأيه فى مثل هذا الزواج . انه يذكر أن هذه أشد أزمة واجهته فى حياته ، فهو سليل بيت يرجع الى القرن الثالث عشر — ولو أن الناس يضحكون على مثل هذه الأمور فى هذا العصر الحديث — وزواج مثل هذا سيكون هو الضربة القاتلة للأسرة ، فان فى حياة الطبقات العليا تقاليد وحاجات وعادات خاصة ينبغى الحفاظ عليها . وهؤلاء الاشتراكيون والراديكاليون سوف يسخرون منه ومن تقاليده وعاداته .

وتذكره زوجه بما قاله فى الصباح من أن هناك قانونا غير مكتوب يحكم هذه الأمور فلا يرى هو أية علاقة بين حادث الخادم وبين حادث ولده . وحين تذكر له زوجه أن ولدهما مخلص للفتاة يسألها : وأين اذن تكون سمعتنا وجاهنا ؟ وحين

تذكره بأن للمسألة وجهة خلقية يلعن هو هذه الوجهة الخلقية فتذكره زوجه بأن لدى الفتاة فريدا كثيرا من الكرامة والاعتداد بالنفس .

ويكون بين سير وليم تششير وبين الفتاة لقاء عاصف ، ويعلو به الغضب حتى ليحطم قدحا من الزجاج بين أصبعيه . ويقول لها فى نقاشه انها لم تبلغ من الحقوق ما يجعلها موضع الاعتبار . ثم اذا ذهبت فريدا والتقت بولده كان بينهما حديث طويل ونقاش يوشك أن ينقلب الى شجار . فهو يبادى ولده بأنه لن يتسلم شيئا منه اذا هو مضى فى هذا الأمر ، فيرد عليه الولد بأنه سيتزوج من الفتاة لا عن حب ، وأنه على الرغم مما يبدو فى تصرفاته من فساد الا أن بنفسه بقية من شرف ومروءة، ثم يذكره ولده بما حدث للفتى دننج ، وكيف أن والده ألزمه فى صبيحة ذلك اليوم بالزواج من روزتيلر ووالده نفسه يريد الآن أن يتنكر هو للفتاة التى أساء اليها !

ويقول سير وليم فى آخر هذا اللقاء :

انني أتكلم من فرط ألمى ... يجب عليه أن يحترم رأيى • انها نكبة ما توقعت يوما أن أواجهها • صدمة ما أحسب أننى سأنساها طيلة عمرى ، بل سأظل أرزح تحت وطأتها حتى أموت. هكذا سيكون شأننا جميعا • لقد لازمنى النحس طيلة عمرى فجعلنى أومن بأهمية مركزنا هنا .... أومن بأننا أسرة لهـــا

شأنها وخطرها ... وأن البلد فى حاجة الينا ... ثم ، فى لحظة واحدة ، يتبدد كل شىء .... وكأنه سراب . ان تصرفك لا يتفق وفلسفتى فى الحياة ، فمن غير الطبيعى اذن أن أوافقك على هذا الزواج ...

***

واذ يبلغ النقاش بين الولد وأبيه هذه الذروة يدخل ستدنهام الخولى الأكبر أو كبير الخدم ، سمّه ما شئت ، وهو أبو فريدا . ومن سخرية الموقف أنه يحمل لسيده خبرا طريفا هو أن الفتى دننج قد وافق أخيرا على الزواج من فتاة القرية التى أغراها . واذ يتلقى الرجل هذا الخبر يلمح تيارا غريبا يسرى فى السامعين . ثم يصك سمعه نبأ آخر عن ابنته هو نفسه اذ يعلم أنه قد وقع لها ما وقع لروز تيلر . ويدور الرجل بعينيه بين الابن والأب والأم والفتيات ويتحدث الى ابنته ليستشف منها الأمر . فيعلم أن الخبر صحيح .

ويدرك الرجل القوى أن هناك خلافا بين الأب وولده على مسألة الزواج من ابنته . ويرى أن الأب سيستخدم نفس السلاح الذى استخدمه مع دننج . فهو سيرغم ابنه أن يتخلى عن الفتاة بأن ينذره بقطع الموارد عنه . ويدرك أن بيل يريد أن يتزوج من ابنته لا لحبه اياها بل لأنه يريد أن ينقذ الموقف فحسب . ويسأل ابنته ان كانت تريد تتزوجه حقا فتتردد ثم

تنفجر « كلا » من بين شفتيها : وهنا نصل الى الخاتمة فكبير الخدم يلقى بخمسة وعشرين عاما من الخدمة فى وجه سيده ويهزأ بمظاهر الاحسان التى بدت من بيل ويسخر من النفاق الذى تجسم فى كل من حوله ، وتدعوه كرامته الى أن يرفض مثل هذا الزواج . ويدور هذا الحديث :

ستدنهام : لا تخف ياسير وليم ! نحن لانزيد أحدا منكم . انها لن تفرض نفسها حيث لاتجد ترحيبا. من الجائز أنها فقدت سمعتها . ولكنهـــا ستحتفظ بكبريائها . لن أسمح فى أسرتى بزواج تتصدقون علينا به .

سير وليم : كفى يا ستدنهام !

ستدنهام : ان كان ابنكم قد سئمها فى بحر ثلاثة اشهر كما يبدو ذلك لأعمى ـ من نظراته فهى ليست له .

بيــل : (يتقدم) أستطيع أن أعوضها .

ستدنهام : مكانك ياهذا ! (يمسك بفريدا وينظر حوله) انها ليست أول ضحايا بنات جنسها منذ الأزل ولن تكون الأخيرة ، والآن هيا بنا هيـــا .. (يسحب فريدا من كتفها ويتقدمها الى الباب).

سير وليم : ويحك ياستدنهام . اشهد لنا ببعض الفضل ودعنا نعوضها .

ستدنهام : (يستدير وبوجهه وعينيه اشراقة أضفتها شكاة باسمة) آه ! انى أشهد لكم بذلك ياسير وليم، ولكن من الأشياء مالا يمكن تعويضه .

***

والشيء الذى لا يمكن تعويضه هو الكرامة والكبرياء وكل ما تحسه النفس البشرية من احترام النفس . وهنا يبدو النزاع الأكبر الذى أراد الكاتب أن يصوره فى هذه المسرحية. وليس ستدنهام الا روحا تمثلت فيها كل هذه النزعات التى كانت تبدو خلال البهرج والنفاق وما كان يرين على حياة الطبقة الموسرة التى أعماها المال ووضعها فى مكانة لا تقيس الأشياء فيها الا بالمال .

ج - تقدير المسرحية

اذا حاولنا أن نقدر هذه المسرحية من حيث الفكرة وجدنا أن الفكرة شائعة طالما عالجها الكتاب والقصصيون ، ولكن معالجة الفكرة على أساس اجتماعى كانت جذابة فى العصر الذى كتبت فيه . وهو عصر كما قدمنا كانت تنبت فيه نابتة الاشتراكية ، وتنتشر فيه المبادىء الراديكالية التى كانت تدعو الى انصاف الفقراء وذوى الدخل المحدود من بين براثن الرأسمالية . وهى فى مبناها نقد لفكرة الخلق فى ذلك العصر فقد كانت الأحكام الخلقية تتلون حسب الظروف التى تصاغ فيها . فأصحاب الاقطاع ومن ورثهم من ملاك الأرض كانوا يسنون القوانين التى تخدم ذواتهم ، ولا يأخذون فى اعتبارهم الآخرين من سائر الطبقات .

والمسرحية بعد ذلك مسرحية طبيعية تكاد تبلغ أقصى مدى التأليف الواقعي . بل هي تكاد تكون صورة فوتوغرافية لهذه القصة التي تسرى فيها . وللأدب الواقعي شأن .. أي شأن ولكن هل لا يعدو المسرح أن يكون مكانا تعلق فيه صورة فوتوغرافية . ليس في هذه المسرحية خيال ولا تعبير موسيقى ولا مؤثرات أخرى غير مؤثرات الحوار . أما موضوعها فهو موضوع « عائلى » . وعلى الرغم من أن له ناحية عالمية الا أنه ليس فى الذروة بين الموضوعات العالمية . ولا تعدو المسرحية بعد ذلك أن تكون فى الصف الثانى بين مؤلفات چون جلزورذى .

أحمد خاكى

أشخاص المسرحية

سير وليم تششير	:	بارون
ليدى تششير	:	زوجته
بيــل	:	ابنهما الأكبر
هارولد	:	ثانى الابنين
رونلد كيث	:	ضابط برتبة نقيب بسلاح الرماة ، زوج ابنتهما
كريستين	:	(زوجته) الابنة الكبرى
دوت	:	وسطى بناتهما
چــين	:	صغرى بناتهما
ميبل لانفارن	:	ضيفة
القس چون لاتر	:	خطيب چين
العجوز ستدنهام	:	الخولى الأكبر
فزيدا ستدنهام	:	الوصيفة
دننج	:	معاون الصيد
روزتيلر	:	فتاة قروية
چاكسون	:	رئيس الخدم
تشارلز	:	خادم

الزمن : الوقت الحاضر • الأحداث تقع فى السابع والثامن من ديسمبر فى بيت آل تششير الريفى فى احدى المقاطعات •

الفصل الأول المشهد الأول : بهو البيت قبل العشاء •

المشهد الثانى : بهو البيت بعد العشاء •

الفصل الثانى حجرة ليدى تششير ، بعد الفطور •

الفصل الثالث حجرة التدخين • حول الخامسة وقت تناول الشاى •

ليلة تمر بين الفصل الأول والثانى •

الفصل الأول

المشهد الأول

بهو رحيب ، جيد الاضاءة ، يكسو جدرانه اطار من خشب البلوط . المكان تسرى فيه أنسام الحياة . حجرة المائدة وحجرة الاستقبال وحجرة البلياردو جميعها تفتح عليـــه . باب تحت منبسط الدرج يؤدى الى جناح الخدم . مدفأة ضخمـــة موقدة تغذيها كتل خشبية . جلود نمور مفروشة على الأرض ، وقرون حيوانات معلقة على الجدران ، ومكتب فى لصق الجدار المقابل للمدفأة . فريدا ستدنهام ، فتاة جذابة . شاحبة ، ســـوداء العينين تقف فى ثوب أسود - زى الوصيفات - وباحدى يديها باقة ورد أبيض وبيدها الأخرى باقة ورد أصفر . يصطفق باب بالطابق العلوى ويهبط سير وليم تششير فى ملابس السهرة . من الجائز أنه يناهز الثامنة والخمسين . رجل قوى البنيـــة ضخم العنق ، رمادى العينين ، متورد الوجه ، يحجب جبروته المغضوب بعض دماثة . يتكلم قبل وصوله أسفل الدرج .

ســـير وليم : مرحى فريدا ! وورود جميلة ! لمن ؟

فـــريدا : لقد كلفتنى سيدتى أن أقدم الورود الصفراء الى مسز كيث ياسير وليم . أما البيضاء فهى لمس لانفارن ، بمناسبة أولى أمسياتهما .

سـير وليم : عظيم . (يمضى فى سبيله قاصدا حجرة الاستقبال) ترى أيأتى أبوك الليلة ؟

فـريدا : نعم يا سير وليم .

سـير وليم : هلا أنبأته أننى أود رؤيته هنا بعد العشاء لأمر هـام ؟

فـريدا : سمعا وطاعة يا سيدى .

سـير وليم : على فكرة ، اطلبى منه أن يحضر لى دفتر الصيد ان كان معه .

(يخرج الى حجرة الاستقبال وتقف فريدا قلقة تدق بقدمها على الدرج الأسفل . تهبط كريستين كيث على عجل فيخفق ذيل ثوبها تبعا لحركتها . شابة بهية الطلعة ناضرة المحيا تلبس فستانا يغطى أسفل جيدها) .

كريستين : أهلا فريدا ! كيف حالك ؟

فـريدا : بخير وشكرا لك يا مس كريستين .. معـذرة ، أقصد ، مسز كيث . لقد كلفتنى سيدتى أن أقدم هذه اليك .

كريستين : (تتناول الورود) أوه ! شكرا ! ما أطيب شعور أمى !

فـريدا : (بصوت سريع رتيب النبرات) : أما الأخرى

فهى لمس لاتفارن . لقد رأت سيدتى أن الورد الأبيض أنسب لها .

كريستين : بل هو يناسك أنت فى هذا الفستان الأسود . (فريدا تخفض الباقة بسرعة) ما رأيك فى خطبة چين ؟

فريدا : غاية التوفيق .

كريستين : خبرينى يا فريدا ! أيعملون بجد فى بروفات المسرحية ؟

فريدا : يوميا . وما أكثر ما تثور مس دوت وهى تشرف على اخراجها .

كريستين : ما أثقل حفظ دور على نفسى . شكرا جزيلا على افراغ حقائبى . هل من أخبار ؟

فريدا : (بنفس الصوت السريع الرتيب) : هل علمت ؟ لن يتزوج دننج معاون الصيد روز تيلر مع كل ما حدث .

كريستين : يا للعار ! ولكنه أمر خطير . كنت أظن أنه ... أعنى أنها ...

فريدا : لقد تعلق بفتاة أخرى . هذا ما يقولون .

كريستين : يا للخسة ! (تشبك الورود) أتدرين ان كان مستر بيل قد وصل أم لا ؟

فريدا : (تتطلع اليها وترمقها) : نعم ، بقطار السابعة الا ثلث .

(رونلد كيث يهبط الدرج ببطء • رجل لوح الجو بشرته ، مزموم الشفتين ، يرتدى ملابس السهرة ، جفناه نصف مسبلين على عينين ثاقبتين • له مظهر الفرسان •)

كيث : مرحى ! ورود فى ديسمبر ! أتعلمين ؟ .. لقد هرب أبوك بجلده من حملة تبكيت صباح اليوم عندما خرجوا بلا صيد من غابة وارنهام . أين صغار الثعالب تلك ؟

فريدا : (تبتسم ابتسامة باهتة) : أظن أن أبى يعرف مكانها يا كابتن كيث .

كيث : قطعا . أهاجرت ؟ أم تبخرت ؟ أم ماذا ؟

كريستين : ان ستدنهام لا يطاوعه قلبه أن يطلق النار على ثعلب يا رونى .
لقد خدم فى بيتنا منذ الطوفان .

كيث : ولكن ما أكثر طرق الغدر بقطة .

كريستين : رونى ، أعلمت ؟ لن يتزوج هذا الشاب دننج تلك الفتاة .

كيث : أف ، ويله ! لن أحسده على وضعه ان هو أقدم على ذلك ! ثقى أن سير وليم لن يحتفظ بخادم أثار فضيحة كهذه فى القرية . أوصل بيل ؟

(يتواريان بينما يهبط چون لاتر الدرج برصانة ووقار ، وقد ارتدى زى المساء الكهنوتى . شاب فارع يضرب الى الشحوب. تتقاسمه سيماء أشراقة رجل الدين وتأنق رجل المجتمعات . يمر بفريدا فيحييها بايماءة خفيفة جامدة . يهبط هارولد — شاب نضر الوجنتين ، باش المحيا — وهو يأخذ كل ثلاث درجات وثبا) .

هارولد : أهلا ، فريدا ! رويدك . دعينى أشمها ! ترى أهى لمس لانفارن ؟ ألم يصل بيل بعد ؟

هارولد : (يجتاز البهو وهو يصفر بشفتيه ويتبع لاتر الى غرفة الاستقبال . صوت هرج ومرج فى الطابق العلوى . ثم صوت يزعق « اخرسى يا دوت ! » تهبط چين وهى تدفع رأسها الى الوراء . شابة جذابة رشيقة القد . تكاد عيناها الواسعتان تتلاقيان) .

چين : أيلاحقنى أحد يا فريدا . هذه النمرة دوت !

فريدا : كلا يا مس چين .

(يطل وجه دوت وكأنه بدر فى تمه من أعلى سياج السلم وتهبط صاحبته الدرج وثبا . قوام ممشوق يعلوه وجه ثائر متمرد) .

دوت : أينتها الخسيسة !

چين : (تهرع الى حجرة الاستقبال ، فتلحق بها دوت عند الباب) .

أوه ! دوت ! انك تقرصيننى !

(يختفيان فى حجرة الاستقبال بينما تهبط مس لانفارن بتوان . فتاة فارعة لها وجه أيرلندى به مسحة من جاذبيـة ، ما أن تلمحها فريدا حتى يبدو عليها مظهر التحفز والجد)

فريدا : هذه الورود لك يا مس لانفارن . هدية من سيدتى .

ميبل : (بلهجة أيرلندية متعمدة) : ما أطيب شعورها ! (تشبك الورود) .

وأنت كيف حالك يا فريدا ؟

فريدا : بخير . شكرا .

ميبل : وأبوك ؟ لعله يسمح لى بالخروج بالبندقية للصيد معه .

فريدا : (بتبلد) : هذا شيء يسره ولا شك .

ميبل : نـ .. نعم .. لن أنسى وجهه .. فى المرة السابقة .

فريدا : لقد انضممت الى مستر بيل ، وهذا أفضل من الانضمام الى مستر هارولد أو كابتن كيت .

ميبل : ولكنه لم يمس ريشة واحدة فى ذلك اليوم .

فريدا : هذا ما يحدث عادة عندما يتلهف الصائد على بذل أقصى جهده .

(ناقوس يقرع . ميبل لانفارن تحدج فريدا بنظرة متسائلة ، ثم تتجه الى حجرة الاستقبال . فريدا — وحدها ولا آزهار معها — تبقى رغم ذلك فى مكانها لاتبرحه. تسمع صوت اصطفاق باب الطابق العلوى يتبعه وقع أقدام مهرولة فتتراجع لتلتصق بالدرج . بيل يهبط الدرج وثبا ويحدق بها فجأة . شاب فارع . صورة وسيمة من أبيه . ذو نظرة عنيدة مبعثها غيظ كظيم)

بيل : فريدا ! (تزيد من تراجعها وتشتد التصاقا بالدرج) ماذا دهاك ؟ (يسمع صوتا فيتلفت حوله بقلق ويبتعد عنها) ألست سعيدة لرؤياى ؟

فـــريدا : مستر بيل . عندى خبر أود أن أصارحك به . بعد العشاء .

بيـــل : تقولين مستر .. ؟

(تمرق من أمامه وتندفع نحو الطـــابق العلوى . يقف بيل مقطبا ويتبعها بعينه ، ثم يفيق لنفسه بغتة حالمــــا ينفتح باب حجرة الاستقبال ويتقدم سير وليم ومس لانفـــارن يتبعهما كيث ودوت وهارولد وكريستين ولاتروچين . يميل كل برأسه على الآخر وقد انهمكوا فى الحديث . ثم تأتى ليدى تششير بمفردها وراءهم . سيدة تنـــاهز الخمسين ينم مظهرها عن ثقـــافة وتهذيب . ذات شعر اختلط سواده ببياض له بريق الفضة . ملامح تنطق بالرقـــة والسخرية ممتزجتين . سير وليم يتقدم الجميع عبر البهو الى حجرة المائدة) .

ســـير وليم : آه بيل !

ميبــل : كيف حالك ؟

كـــيث : كيف حالك يا عزيزى ؟

دوت : (مركّزا جهده) : اصغ الىّ !

هــارولد : هلا أخى حبيبى .

(كرستين تقبله قبلة عابرة . چين ولاتر ينتظران ويرمقانه بحياء دون أن ينبسا) .

ميبـل : (يضـع يده على كتف چـين) : تمنياتى لكما بالتوفيق ! وأنت ، كيف حالك يا أماه ؟) .

ليدى تشـشير : كيف حالك يا بنى ! جميل أن نراك أخيرا . يا لها من غيبة طويلة !

ســـتار

يرفع الستار فى الحال ثانية

المشهد الثانى

(كريستين وليدى تششير ودوت وميبل لانفارن وچين يعودون ، بعد العشاء ، الى البهو) .

كريستين : (بصوت خفيض) : أماه . أصحيح ما يشاع عن ذلك الشاب دننج وروز تيلر ؟

ليدى تششير : أخشى ذلك يا بنيتى .

كريستين : ولكن ألا يمكنها أن ..

دوت : آه . ها ! (كريستين وأمها يلوذان بالصمت) لِم سكت يا صغيرتى ؟ اننى لم أعد تلك الفتاة الصغيرة .

كريستين : كلا يا عزيزتى . بالطبع كل ما فى الأمر .. (تومىء برأسها صوب چين وميبل) .

دوت : اصغ الىّ . هذا مثال لعين ما أمقته .

ليدى تششير : عجبا لك يا بنيتى ! مثال آخر ؟

دوت : نعم يا أماه ، وأرجو ألا تتظاهرى بأنك لا تفهمين قصدى لأنك تفهمينه .

ليدى تشـشير : مثل ماذا ، مثلا ؟

(چين وميبل وقد توقفا عن الكلام ينصتان وهما أمام النار) .

دوت : غش ورياء . لِم تريدون أن يتزوجا ما دام قد سئمها ؟

كريستين : (بتهكم) : لك حق ما دام فكرك لا يسمو بك أكثر من هذا .

دوت : ألا تعتقدين أن الحب عنصر أساسى فى الزواج ؟

ليدى تشـشير : (بهزة من كتفها) : ليس هذا هو بيت القصيد .

دوت : أوه ؟ أكنت تحبين رونى أم لا ؟

كريستين : لا تكونى بلهاء !

دوت : أجيبى . أكنت تتزوجينه ان لم تبادليه الحب ؟

كريستين : بالطبع كلا .

چين : دوت[1] ! اسم على مسمى ! ..

دوت : مرحبا بعصفورتى الحمقاء !

ليدى تشـشير : دوت ! كفى يا عزيزتى !

---

(١) : كلمة دوت «Dot» تعنى طفل أو طفلة صغيرة . (المترجم)

دوت : بربك لا تسكتينى يا أماه ! (مخاطبة چين) . وأنت ألا تحبين خطيبك ؟ (چين تلتفت بسرعة خاطفة الى النار) . أكنت تقبلين على الزواج منه لو لم يكن الأمر كذلك ؟

كريستين : انك شرسة يا دوت .

دوت : ألا تحب ميبل .. وليكن هذا من تحبه ؟

ميبل : ليتنى أعرف من هو .

دوت : أجيبى ، أتتزوجينه ان لم يجمع الحب بينكما ؟

ميبل : قطعا لا .

دوت : وأنت يا أماه . أما كنت تحبين أبى ؟

كريستين : دوت ! انك متبجحة حقا !

دوت : (أسيفة ، مدركة ألا نصير لها) : حسنا ، قد يكون هذا تبجحا منى .

چين : دوت !

دوت : أجيبى يا أماه .. هل تز .. أقصد بمحض رغبتك؟

ليدى تششير : أجل يا بنيتى . بمحض رغبتى .

دوت : ترى أكنت تتزوجينه ان لم تكونى قد أحببته ؟

ليدى تششير : (تهز رأسها) : اذن فقد اتفقنا جميعا .

دوت : ما عدا أنت .

دوت : (عابسة) : أنا ؟ حتى ولو أحببته لوجب عليه أن يحسد نفسه ان أنا تزوجته .

ميبل : حقا ، وان كنت غير واثقة من ذلك .

دوت : (تصطنع من حركات وجهها ما يحمل على الغيظ) كنت أريد أن أقول ..

ليدى تششير : ولكن ألا تظنين أن السكوت أفضل يا عزيزتى ؟

دوت : لا بأس . لن أقول ما كنت أريده ، ولكن لا بد أن أسأل .. لِم بحق الشيطان ..

ليدى تششير : حق ما تقولين يا دوت !

دوت : (بشىء من الارتباك) : ما دام قد سئم كل منهما الآخر فبأى منطق ينبغى لهما أن يتزوجا ؟ ثقى لو أرغمهما أبى على ذلك ..

كريستين : أنت لا تفهمين شيئا يا دوت . انه من أجل ..

دوت : انطقى يا حلوة ! قولى « الوليد القادم » ! باركه الله !

(صمت فجائى اذ يقدم كيث ولاتر من حجرة المائدة) .

لاتر : لابد من ذلك يا رونى .

فريدا : كلا يا چون . لا أوافقك البتة .

لاتر : انك لا تفكر !

كيث : بالله ومن منا يحب أن يفكر بعد العشاء !

دوت : هيا ! تعالوا نلعب البلياردو معا (تنحرف الى باب حجرة البلياردو) تذكروا ! بروڤات المسرحية غدا بعد الفطور مباشرة من أول « يدخل ايكليز لاهثا » الى النهاية .

ميبل : ما الذى جعلك تختارين مسرحية « الطبقات » يا دوت ؟ انك تعلمين مدى صعوبتها .

دوت : لأنها المسرحية الوحيدة التى لا تسف فى تقدميتها.

(يذهب جميع الفتيات الى حجرة البلياردو)

ليدى تششير : أين بيل يا رونى ؟

كيث : (يكاد يضحك) : أغلب ظنى أنه مع سير وليم فى « لجنة الامدادات » .. يا حبيبتى .

ليدى تششير : أوه !

(تنظر بقلق صوب حجرة المائدة ، ثم تخرج فى اثر الفتيات) .

لاتر : (بلهجة من يواصل جدالا) : هذه مسألة لا يختلف عليها اثنان يا رونى . ان رفض ذلك الشاب دننج لا يمكن الدفاع عنه .

كيث : يؤسفنى ألا أوافقك على ذلك يا چون .

لاتو : طبعا ، ما دمت لا تريد أن تسمعنى .

كيث : (يشذب طرف سيجاره) : لا تسرف فى آرائك يا صاحبى ، لقد ناقشنا الموضوع من كافة نواحيه مرتين على الأقل .

لاتو : النقطة هى ..

كيث : (ناظرا اليه نظرة تهكم بعينيه نصف المسبلتين): أعلم ذلك — أجل ، أعلم ذلك ، ولكن المهم هو ما مدى أهمية نقطتك هذه من الوجهة العملية ؟

لاتو : اذا أضر رجل بامرأة فعليه أن ينصفها . أظن أنه لا جدال فى هذا .

كيث : هذه مسألة رهينة بالظروف .

لاتو : بل هى انتهازية حقيرة .

كيث : هراء . اصغ الىّ .. ولكن أقول لك .. دعنا من هذا الموضوع يا چون ، اذ لا يمكن لامرىء أن يجادل فيه قسيسا مثلك .

لاتو : (ببرود) : ولم لا ؟

هارولد : (وقد دخل من حجرة المائدة) : هيا اجذب يا كيث — هيا اجذب يا چون [1] .

---

(١) : اشارة الى لعبة شد الحبل.«المترجم»

لاتر : ان مراعاة الأمانة فى اللعب سنة مقدسة حتى فى الجيش .

كيث : أى لعبة تعنى ؟

لاتر : وماذا تكون سوى تلك موضوع نقاشنا .

كيث : انك شاب متزمت يا چون ولكنى أعذرك فانك تنظر الى الأمور بمنظار مهنتك . أتريد أن تجرف الكل معك .. عجبا لك !

لاتر : (مركّزا جهده) : اصغ الىّ !

هارولد : (محاكيا حركة رجل يجذب اليه جوادا عنوة) : هيا هذه الناحية أيها الفرس الأشوه .

كيث : (مخاطبا لاتر) : لن تستطيع أن تفرض علىّ آراءك يا عزيزى . انك لا تعرف الى أين ستقودنا جميعا . (يدخن فى هدوء) .

لاتر : (فى هدوء) : هل لك أن تخبرنى كيف تأخذ الرذيلة منبتها ؟ بالضبط من مثل هذه الأفعال كفعلة ذلك الشاب دننج .

كيث : كلا ، حرى بك أن تقول من الطبيعة البشرية يا چون . أصارحك القول بأننى لا أحب أن يتخلى شاب عن فتاة فى ورطة كهذه ولكننى

لا أرى فائدة تطبيق قواعد صماء ، بل ومن الواجب تحطيمها . ثق أن كل ما ستفعله أنت وسير وليم هو أنكما سوف تكبلان دننج والفتاة طوعا منهما أو كرها انقاذا للمظاهر . وأؤكد لك أن الشيطان سيحجل بينهما فى بحر عام واحد . وكما يقول المثل ، تستطيع أن تعرض حصانا على الماء ولكنك لا تستطيع اجباره على الشرب .

لاتر : لست معك اطلاقا .

هارولد : لك الله يا چون !

لاتر : على كل ، نحن نعلم الى أين تقودكم مبادئكم .

كيث : (بشىء من العنف) : الى أين من فضلك ؟ (هارولد يرفع عينيه ويشير الى أسفل) اسكت أنت يا هارولد !

لاتر : ألم يحدث أن سمعت قصة فاوست ؟

كيث : اصغ الىّ يا چون . مع كل احترامى لزيّك الكهنوتى وكل ما يكنه الجميع لك من تبجيل فقد يكون مصيرك .. جهنم وبئس القرار .

لاتر : حسنا ولكن لابد أن أقول لك يا رونى .. ما من

أحد من كل من صادفتهم من أجلاف .. (يتجه نحو حجرة البلياردو) .

كيث : آسف اذ أخرجتك عن طورك يا عزيزى .

(لاتر يمرق الى الخارج ، تصدر من الباب المفتوح أصوات مختلطة ... أصوات نسائية وضحك وصوت كرات البلياردو... ثم يقفل الباب فجأة فتنقطع)

كيث : (بابهام) : يا للشيطان ! هكذا يغيظ قسيس الواحد منا . لم ؟ لأنك تعرف أننى ، فى الحقيقة، أوافقه . نعم ، لابد أن يكمل دننج لعبته وآمل أن يحمله سير وليم على ذلك .

(يدخل چاكسون رئيس الخدم من الباب تحت السلم يتبعه ستدنهام الخولى الأكبر. رجل يتراوح عمره بين الخمسين والستين، يلبس چاكتة يحفها فراء ولها جيوب كبيرة، وبنطلونا قصيرا من المخمل المضلع ، وطماقا(١) . وجهه أسمر لوحة الجو ، وينطق بأمارات الحزم واحترام الذات . عيناه زرقاوان . له لحية صغيرة يبدو من مظهرها ما كان من احمرارها فى سالف أيامها) .

---

(١) : جلد يلبس حول الساق (المترجم)

كـيث : أهلا ! ستدنهام !

ستدنهام : (يلمس جبهته) : مساء الخير يا كابتن كيث .

چاكسون : أما زال سير وليم فى حجرة المائدة مع مستر بيل؟

هـارولد : (مقطبا) : أجل يا چاكسون .

(يخرج چاكسون الى حجرة المائدة)

كـيث : أما صدت ديوكا برية بعد يا ستدنهام ؟

ستدنهام : كلا يا سيدى . مجرد طيور عادية . سنذهب الى الغابة ودوحة البيت بحثا عنها عندما تخرجون .

كـيث : ما دمنا نتكلم عن الغابة ، دعنى أقول ..

(يتوقف عن الحديث فجـأة ويخرج مع هارولد الى حجرة البلياردو • يدخل سير وليم من حجرة المائدة ، وقد أمسك بخلالة أسنان ذهبية راح ينظف بها نواجذه)

سـير وليم : آه ! ستدنهام . شيء مؤسف .. حكاية دننج هـذه .

ستدنهام : أجل يا سيدى .

سـير وليم : يصر على رفض الزواج منها ؟

ستدنهام : أجل .

سـير وليم : لن يجديه هذا . بم يتعلل ؟

ستدنهام : سئمها . هذا كل ما يقوله .

سير وليم : يا لله ! ليس هذا سببا وجيها . لا يمكنني أن أبقى فى خدمتى خادما يعيث فى القرية فسادا على هذا النحو الفاضح . (ملتفتا الى ليدى تششير وكانت قد جاءت من حجرة البلياردو) اننا نتحدث فى موضوع دننج يا عزيزتى .

ليدى تششير : أوه ! لكم يحز هذا فى نفسى يا ستدنهام . ياللفتاة المسكينة !

ستدنهام : (باجلال) : تصورى يا سيدتى أنه يشعر الآن بانعدام التكافؤ بينهما .

ليدى تششير : (مخاطبة نفسها) : وأحسب أنه قد وضعها فى منزلة أعلى منه .

سير وليم : آه ! لامعقول! كنت أقول لستدنهام انه ينبغى على هذا الشاب أن يسوى الموضوع اذ لا يمكن أن نسمح بفضائح علنية كهذه فى قريتنا ، فان كان يريد أن يحتفظ بعمله فليتزوجها فورا .

ليدى تششير : (مخاطبة زوجها بصوت خفيض) : أمن الحكمة اكراههما على ذلك ؟ أعندكم علم برغبة الفتاة الحقيقية يا ستدنهام ؟

ستدنهام : لقد أظهرت روحا عالية يا سيدتى .. انها تقول انها ستتزوجه .. شاءت أم لم تشأ .

ليدى تششير : روحا عاليـــة ؟ هكذا ! انهما ان تزوجا بهـــذه الطريقة فمصيرهما الى بؤس لا محالة .

ســـير وليم : ماذا تقولين ، ليست هذه قاعدة ثابتة . ثم عليك أن تعلمى الآن يا عزيزتى أن هناك قانونا غـــير مكتوب يلتزم فى هذه الأحوال . انهما يدركان تماما أنه عندما تترتب على علاقتهما نتائج فعليهما تحملها .

ستدنهام : ان بعض هذا الشباب يا سيدتى لا يقدر العواقب أكثر من تقدير عصفور عجوز لها .

ســـير وليم : سأمهله حتى الغد ، فان ركب رأسه فعليه أن يأخذ عصاه ويرحل . ولن يحصل منى على أية شهادة يا ستدنهام . أبلغه قرارى هذا . صحيح أننى أعزه ، فهو حارس كفء فى عمله ، ولا أحب أن أضحى به ، ولكننى لن أسمح بأمر كهذا . عليه أن يمتثل للواقع والا فليمض لحال سبيله . أقائم هو بالعمل الليلة ؟

ستدنهام : يقدد صيد الحمام . أتريد رؤيته يا سيدى ؟

سير وليم : (مترددا) نعم .. نعم . أريد ذلك .

ستدنهام : نعمت مساء يا سيدتى .

ليدى تشستر : ألاحظ انحرافا بصحة فريدا هذه الأيام يا ستدنهام .

ستدنهام : انها لا تقبل كثيرا على طعامها ولعل هذا هو السبب .

ليدى تشستر : اذن لك علىّ أن أرغّبها فى الطعام .

سير وليم : ستدنهام ، سنبدأ بالصيد فى دوحة البيت . على فكرة ، ماذا كانت حصيلة صيدنا فى العام الماضى؟

ستدنهام : (يقدم دفتر الصيد ولكن دون أن يقلب صفحاته) : مائتين وثلاثة وخمسين ديكا بريا وثلاثة وستين أرنبا وثلاثة من ديكة الأحراش ، وخلافه .

سير وليم : لم يكن من بينها ثعلب ، أليس كذلك ؟ (بوقار) لقد تضايقت كثيرا صباح اليوم فى غابة وارنهام .

ستدنهام : (بوقار زائد) أظنك تعلم السبب يا سير وليم . ان الفرس ما زال صغيرا .

سير وليم : (بنظرة صارمة) : أنت تعرف جيدا ما أعنيه .

ستدنهام : (بثبات) أأرسل دننج يا سيدى ؟

(سير وليم يومىء ايماءة مقتضبة صارمة ·
يتسحب ستدنهام من خلال الباب تحت
السلم) ·

سير وليم : يا للثعلب العجوز !

ليدى تششير : بالله لا تقس كثيرا على دننج . انه ما زال شابا
أهوج .

سير وليم : (يربت على ذراعها) : يا عزيزتى ، انك لا تفهمين
شباب اليوم ، وكيف يمكنك ذلك ؟

ليدى تششير : (بشىء من التهكم) : فيما عدا زوجا وولدين)
(ينفتح الباب تحت السلم) بيل ، أكرر رجائى..

سير وليم : سأرفق به (بخشونة) ادخل !

(ليدى تششير تتجه صوب حجرة البلياردو.
تتطلع خلفها الى دننج وتنفرج شفتاها عن
نصف ابتسامة · دننج شاب أشقر يلبس
حلة من المخمل المضلع وطماقا · يقف
ممسكا بقبعته فى يده · تخرج)

سير وليم : مساء الخير يا دننج .

دننج : (يرفع قبعته بالتحية) : مساء الخير يا سيدى .

سير وليم : هل أخبرك ستدنهام بالغرض الذى طلبتك من
أجله ؟

دننج : أجل يا سيدى .

سير وليم : ان الأمر بيدك فاختر بين قبوله أو رفضه . لن أجبرك . فقط لن أسمح بأن يحدث هـذا فى ضيعتى .

دننج : أود أن أقول يا سيدى انها .. (يتوقف) .

سير وليم : نعم ، أستطيع أن أكمل لك .. لقد سئمتها ، تريد من كل بستان زهرة . لا تستطيع الاستمرار معها .

دننج : أجل يا سيدى .

سير وليم : لاحظ أننى أعاملك بمنتهى الحلم . هذه أول وظيفة لك . فاذا تركتها فلن تحصل منى على أية شهادة .

دننج : أقسم أننى ما كنت أقصد سوءا بها يا سيدى .

سير وليم : اصغ الى يا عزيزى . أنت تعرف عادات أهل الريف .

دننج : نعم يا سير وليم ولكن ..

سير وليم : كان حرى بك أن تتبصر العواقب . اننى لا أرغمك ، ولكن ان أنت رفضت فعليك أن

ترحل من هنا . هذا كل ما أود أن أقوله لك .
هل سمعت ؟

دننج : سمعت يا سير وليم .

سير وليم : والآن ، انصرف وخذ يوما عطلة لتفكر فى الموضوع جيدا .

(بيل يتلكأ مغموما أثناء خروجه من حجرة المائدة . ثم يقف عند الدرج وينصت . يلمحه دننج فيرفع يده محييا) .

دننج : أمرك يا سير وليم (يستدير ويعتريه التردد ولكنه يستدير ثانية) ولكننى أعول أما عجوزا ! ..

سير وليم : عبثا تحاول يا دننج . ليس لدى ما أقوله أكثر مما قلته .

(دننج ينصرف مهموما من خلال الباب تحت السلم)

سير وليم : (فى اثرة) عليك أن تعى ما سمعته .. (يخرج هو الآخر) .

(بيل يشعل سيجارة وهو يقترب من المكتب. يبدو مكتئبا . تفتح حجرة البلياردو فجأة وتظهر ميبل لانفارن . تنحنى باستخفاف)

ميبـل : لقد طلب الى ، ضد مشيئتى ، أن أصطحبك الى حجرة البلياردو .

بيـل : معذرة ! لدى بعض رسائل تتطلب الرد عليها .

ميبـل : يبدو أنك أصبحت من ذوى الضمائر الحية .

بيـل : ربما . الله أعلم .

ميبـل : أتذكر آخر يوم كنا نصيد فيه فى دوحة البيت ؟

بيـل : نعم ، أذكره .

ميبـل : (بغتة) ماذا أرى ! لقد كبرت فريدا ستدنهام وصارت فاتنة !

بيـل : أهى كذلك ؟

ميبـل : انها الفتنة تمشى .

بيـل : حقا ! لم ألاحظ ذلك ؟

ميبـل : أتأخذ دروسا فى فن الحديث ؟

بيـل : لست أظن ذلك .

ميبـل : أوه ! (فترة صمت) مستر تششير !

بيـل : مس لانفارن !

ميبـل : ماذا دهاك ؟ ألست غريب الأطوار حقا خاصة وأنك تعلم أننى لا أعض وأننى كنت صديقتك ؟

بيل : (بعناد) معذرة .

(يرى أمه قادمة من حجرة البلياردو فيجلس أمام المكتب)

ليدى تشيشير : ميبل . اليك هذه العصا يا عزيزتى . وأنت يا بيل . ألن تشاركنا اللعب وتوقف رونى عند حده ؟ انه مريع !

بيل : شكرا . على آن أكتب هذه الرسائل .

(ميبل تتناول العصا وتعود الى حجرة البلياردو حيث يصدر منها أصوات حديث وضحك) .

ليدى تشيشير : (تتقدم نحو ابنها وتقف خلف مقعده) : ماذا يضايقك يا بنى ؟

بيل : لا شيء ، شكرا . (فجأة) أماه ، بودى لو أنك لم تدعى هذه الفتاة الينا .

ليدى تشيشير : ميبل ! لم ؟ انهم فى حاجة اليها من أجل البروفات. ظننت أنكما كنتما على وفاق تام فى عيد الميلاد الماضى .

بيل : (بحنق يقطر كمدا) : كان هذا منذ عام يا أماه .

ليدى تشـشير : ان أخواتك يحببنها وكذا أبوك . أما عن نفسى فأقول انها فتاة لطيفة خفيفة الظل .

(يتلفت حوله عله يشـــعر أمه أنه يبغى الاختلاء بنفسه ولكن ليدى تششير تلاحظ أنه على وشك النظر اليها فلا تنظر اليه) .

ليدى تشـشير : أخشى أن يكون أبوك قد تحدث اليك يا بيل .

بيـل : لقد فعل ذلك .

ليدى تشـشير : عن الديون ؟ حاول أن تعذره . لا شـــك أنه حدّثك بشىء من ..

بيـل : نعم .

ليدى تشـشير : بودى لو استطعت أن ..

بيـل : يا الهى . لا تورطى نفسك فى هذه المسألة .

ليدى تشـشير : من المؤسف أنك أخبرته .

بيـل : لقد كتب الىّ وطلب منى صراحة بيـــانا كاملا بديونى .

ليدى تشـشير : أوه ! (تحاول جاهدة أن تتـكلم بصوت يوحى بعدم الاكتراث) . من حسن الحظ أن لدىّ قليلا من المال . بيل .. أظن أنه يمكننا تيسير الأمور ان نحن ..

بيــل : أصغى الىّ يا أماه . لقد سبق أن حاولت ذلك معى ، ولكننى اعتدت الاسراف ولا حيلة لى فى هذا . لن أتمكن من تدعيم مركزى مالم أرحل الى المستعمرات ، أو أى شيء من هذا القبيل .

ليدى تشــشير : لا تتكلم هكذا !

بيــل : بل لابد من ذلك .

ليدى تشــشير : لن يكون ، فان أباك حريص على هذا المكان وعــلى لقب الأسرة ومستقبلك . هكذا كل آل تششير . لقد عاشوا هنا جيلا بعد جيل . انهم جميعا .. جذور راسخة .

بيــل : ها ! تقولين مستقبلى ! أنعم به وأكرم !

ليدى تشــشير : (مضطربة ولكنها تكبح عواطفهــا خشية أن يلحظها) ولكن خبّرنى يا بيل ، لم تنفق أكثر من ميزانيتك ؟

بيــل : وهل الذنب ذنبى ؟ اننى لست مســئولا عن تربيتى .

ليدى تشــشير : أخشى أن أقول اننا نحن الملومون . كان تهاونا منــا .

بيــل : نعم . كان من الأفضل أن تتركونى وشأنى .

ليدى تشــشير : ولكن لم كل هذا ؟ .. لمجرد لغط بسيط حول مصروفك ؟ !

بيــل : نـ .. نعم .

ليدى تشــشير : انك لا تكتمنى شيئا ؟

بيــل : (مواجها اياها) كلا (يستدير ويتجه الى المكتب بتـؤدة ويتناول قلما) لابد أن أكتب هــذه الخطابات بعد اذنك يا أماه .

ليدى تشــشير : بيل ، ان كان هناك ما يضايقك فعلا فلا شــك أنك ستكاشفنى به . أليس كذلك ؟

بيــل : ثقى أنه ليس هناك شىء على الاطلاق .

(ينهض فجأة ويتجول فى الغرفة . تتجه ليدى تشــشير هى الأخرى صوب المــدفأة وترمقه بنظرة حائرة ثم تستدير الى المدفأة، ثم تغير مجري الحديث فجأة لعلها تصلح من مزاجه) .

ليدى تشــشير : ما رأيك فى موضوع دننج ؟ ألا يدعو للأسف حقا . شد ما أرثى لحال روزتيلر .

(فترة سكون . تدخل فريدا خلسة من الباب أسفل الدرج . لاترى سوى بيل فتتقدم لتكلمه)

بيـل : (بغتة) أوه ! وما العمل ؟ هذه أشياء لابد منها فى الريف .

(تتسمر فريدا ، وهو يتحدث ، فى مكانها، اذ تدرك أنه ليس بمفرده • يجفل بيل هو الآخر اذ يقع نظره عليها) •

ليدي تشـشير : (تمضى فى حديثها وهى تحملق فى النار) ان ارغامه على الزواج لأمر مريع حقا . اننى أومن بأن يتصرف النـاس بمحض ارادتهم . (ترى فريدا وقد وقفت مترددة بجوار السلم) أتريدين منى شيئا يا فريدا »

فـريدا : لا شيء سوى معطفك يا سيدتى . أ .. أبدأ فيه ؟

(يدخل سير وليم فى هذه اللحظة من حجرة الاستقبال)

ليدى تشـشير : نعم ، نعم .

سـير وليم : (باشا) أتسـمح لى بخمس دقائق أخـرى يا بيل ؟
(مشيرا الى حجرة البلياردو) سنلحق بك فورا يا عزيزتى .

(فريدا تتطلع الى بيل ، ثم تعود من حيث أتت • تنصرف ليدى تشـشير وتدخل حجرة البلياردو) •

سير وليم : بعد لحظات سأجتمع بدننج لأسمع اعترافه لعلّى أفلح فى حمله على التكفير عن خطيئته . (يصلح من ذيل ثوبه) . أما الآن فلنتحدث عن موضوعك يا بيل . لا أريد أن أنهرك ساعة أن تصل الينا ولكنك تعلم أنه لا يمكن الاسترسال فى هذا . لقد سدّدت ديونك مرتين ولكننى لن أسدّدها هذه المرة مالم ألمس تجاوبا منك لتغيير مسلكك (برهة صمت) لقد ورثت اسرافك من أمك . انها غاية فى الغرابة .. (برهة صمت) .. هكذا حال كل آل رونترلى فيما يتعلق بالمال .

بيل : بل أمى غاية فى الكرم ان كان هذا ما تعنيه .

سير وليم : لنتكلم فى صلب الموضوع . (برهة صمت) . أنت مدين فى الوقت الحاضر ، حسبما أعلم ، بمبلغ ألف ومائة جنيه .

بيل : تقريبا .

سير وليم : قرصة نملة . (برهة صمت) .. اسمع عندى اقتراح لك .

بيل : ألا يمكن ذلك غدا ؟

سير وليم : يبدو أن كلمة « غدا » هى شعارك فى الحياة .

بيل : شكرا !

سير وليم : وأود بفارغ الصبر أن أغيرّها هى الأخرى اليوم . (بيل ينظر اليه فى صمت) ها قد حان الوقت الذى ينبغى لك فيه أن تأخذ مكانك من المجتمع مأخذا جدّيا بدلا من اضاعة وقتك فى المدينة والاشتراك فى حلبات السباق ولعب البولو وغيرها ، وغيرها .

بيل : ثم ماذا ؟

سير وليم : (يلحظ لهجة خطيرة فى صوت ابنه فيخفف من زجره) انه اقتراح غاية فى البساطة . ما من شيء معقــول يخطــر على بالى وأظن أنه فى صالحك الا (بجفاء) وأذكره لك . تزوج فتاة لطيفة ، واستقر فى حياتك ، ورشح نفسك عن الدائرة . سأمنحك « داور هاوس » وألفا وخمسمائة جنيه سنويا . وسأسدد ديونك من ضمن هــذه الصفقة ، فاذا انتخبت فسأرفعها الى ألفى جنيه . أمامنــا وقت طويل لنحوّل عواطف أهل هذه الدائرة قبل أن يمكننا طرد

هؤلاء الراديكاليين [1] الأبالسة . ستفوز على منافسك الدخيل على الدائرة . انك ان بذلت مجهودا فى الصيف فأغلب ظنى أنك ستنجح فى دخول البرلمان فى الفصل القادم . تستطيع أن تأخذ « روكيتر » والفرس الصغير .. انه يناسب وزنك . فقط ستكون فى حاجة الى فرس آخر اذا أرادت مس .. أقصد اذا أرادت زوجتك أن تخرج للصيد ..

بيل : اذن فقد اخترت زوجة لى !

سير وليم : (بنظرة خاطفة) : أحسب أن هناك فتاة فى مخيلتك .

بيل : آه !

سير وليم : ليس هذا بغريب فى مثل سنك . لقد تزوجت أمك وأنا فى الثامنة والعشرين . وها أنت الآن.. الابن الأكبر لأسرة تمثل نظاما معينا . ان الخبرة والسنين تزيدنى ايمانا بأن الواجب يحتم على كل واحد له شأنه أن ينشط لانقاذ ما بقى لنا من

---

(١) : دعاة الاصلاح الجذرى من الأحرار الذين قاموا فى آخر القرن التاسع عشر ومبدأ القرن العشرين . (المترجم)

معالم . اننا ان لم نخلص لطبقتنا وان لم نكن على أهبة العمل من أجلها فان طبقة ملاك الأرض سوف تتضاءل أمام هـذه الروح الديموقراطية اللعينة التى ذاعت وشاعت . ان المستقبل جد خطير . آلاف المخاطر تتهددنا من كل جانب . انك ان كنت صادق النية فلسوف تكون فى حاجة الى زوجة ، فلولا والدتك لضاعت كل أملاكى .

بيـل : هذا ما توقعت سماعه .

سير وليم : (بغبطة ظاهرة) : اسمع يا بنى ، اننى لا أريد اجبارك . لطالما انطلقت حسب أهـوائك فلم أتعرض فى يوم من الأيام لنزوات شبابك طالما (تبدر من بيل حركة لا يفطن اليها سير وليم) . نعم ، ما حدث قط أن تدخلت فى أمر من أمورك الشخصية . كل ما أستطيع أن أحكم بموجبه هى الأدلة المالية التى تتكرم بتقديمها الىّ بين وقت وآخر . أعرف طبعا أنك تعيش كمعظم الشبان فى مثل وضعك .. أنا لا ألومك ولكن لكل شىء أوانه .

بيـل : لم لا تقول انك تريد منى أن أتزوج ميبل لانفارن ، دون لف أو دوران ؟

سير وليم : فعلا أريد ذلك ، فهى فتاة لطيفة من أسرة طيبة على درجة من الثراء وتجيد الركوب . ألا يروقك جمالها أم ماذا ؟

بيل : كلا ، وشكرا !

سير وليم : لقد فهمت من أمك أنك وهى كنتما على وفاق تام .

بيل : أرجوك ألا تزج بأمى فى هذا الموضوع .

سير وليم : (بأدب يدعو الى التوجس) : هلا تكرمت فبينت لى وجه اعتراضك ؟

بيل : أمن الضرورى أن تسترسلنى فى هذا الموضوع ؟

سير وليم : لعلك تذكر أننى ما من مرة طلبت منك أن تفعل شيئا من أجلى ، لذا أنتظر منك أن تعيرنى الآن أذنا صاغية . لا أريد أن أرغمك على هذا الزواج بالذات . ان لم تكن تشعر بميل نحو مس لانفارن فلا بأس من أن تتزوج فتاة تهواها .

بيل : يؤسفنى أن أرفض طلبك .

سير وليم : اذن فأنت تعرف جزاءك . (فى سورة غضب مباغتة) أنت أيها الأرعن .. (يكبح جماح نفسه ويقف يرمق بيل بنظرة يتطاير منها الشرر ، فيرد

عليه هذا بالمثل) . أظن أن هذا معناه أنك مرتبط
بفتاة أخرى .

بيـل : لك أن تظن ما شئت يا سيدى .

سـير وليم : حذار ان أنت سلكت سلوك وغد ..

بيـل : لن تستطيع ارغامى كما تفعل مع دننج .

(تدخل ليدى تششير قادمة من حجرة البلياردو حال سماعها هذه الجلبة) .

ليدى تششير : (تغلق الباب) : أوه ! ما الخبر ؟

سـير وليم : اذن فأنت تصر على الرفض ! اتركينا وحدنا يا دوروثى .

ليدى تششير : (باصرار) : كفى . اننى لم أر بيل طيلة شهرين .

سـير وليم : ترفض ! (مترددا) حسنا .. ولكن لابد أن نناقش هذا الموضوع مرة أخرى .

ليدى تششير : هيا الى حجرة البلياردو كلاكما ! بيل ، أكمل هذه الخطابات !

(تجذب سير وليم بحركة بارعة الى حجرة البليـاردو ، وترنو الى بيل قبل خروجها ولكنه يكون قد استدار نحو مكتبه . عندما يغلق الباب يتفقد بيل حجرة الاستقبال ثم يفتح الباب تحت السلم ثم يعود

القهقهري صوب المكتب ويجلس اليه ويتناول قلما . تدخل فريدا .... ويبدو أنها كانت تنتظر ... وتقف الى جانب المكتب) .

بيل : أنت تجازفين .

فريدا : نعم .. ولكنني مجبرة .

بيل : حسنا ، اذن .. (بتهور طبيعي) ألا تقبلينني ؟

(تظل ساكتة وتنظر اليه في تساؤل حزين)

بيل : أتعرفين أنني غبت عنك ثمانية أسابيع كاملة ؟

فريدا : مدة .. طويلة .. جديرة بأن تنسيك .

بيل : تنسيني ؟ كيف ؟ انني لست ممن ينسون الناس بهذه السرعة .

فريدا : أصحيح ما تقول ؟

بيل : ماذا دهاك يا فريدا ؟

فريدا : (تطيل النظر اليه) : بيل ، لن يعود الحال ، بعد اليوم ، كما كان .

بيل : (يثب واقفا) : ما قصدك ؟

فريدا : معي الآن شيء لك (تخرج خاتما ماسيا من جيب فستانها وتقدمه اليه) . لم ألبسه منذ كرومر[1] .

---

(١) : اسم بلدة بمقاطعة نورفوك بانجلترا. (المترجم)

بيـل : اصغى الىّ .

فـريدا : لقد أخذت عطلتى ولن آخذ غيرها فى لهوجـة .

بيـل : فريدا !

فـريدا : انى راحلة ، ولسوف أتركك لتنعم بحريتك • ان حبك لي لم يدم أكثر من أسبوعى العطلة الماضية •

بيـل : (يضع يديه على ذراعيها) : أقسم ....

فـريدا : (تخرج الكلام من بين نواجذها) : لا داعى لأن تعرف مس لانفارن شيئا عنى •

بيـل : آه .... فهمت ! لقد أكدت لك مرارا وتكرارا أننى لم أتغير نحوك اطلاقا •

(فريدا تنظر اليه وتبتسم).

بيـل : أوه : شيء جميل حقا ! ان شئت أن تكدرى صفوك فافعلى .

فـريدا : لسوف يفرح الجميع .

بيـل : علام ؟

فـريدا : عندما تتزوجها .

بيـل : شيء مزعج حقا .

فـريدا : هذا يحدث دائما .... حتى ولو لم يكن الزوج « چنتلمان » .

بيل : بالله كفاك !

فريدا : ولكنني لست كتلك الفتاة فى طرف القرية .
لا تخش أن أبوح بشيء عندما .... تأزف الآونة .
هذا ما كنت أريد أن أنهيه اليك .

بيل : أوه ! ماذا !

فريدا : أقول باستطاعتى أن أكتم سرا لا أبوح به .

بيل : أتجدين ؟

(تومىء برأسها)

بيل : يا الهى !

فريدا : لقد علمنى أبى ألا أنوح متوسلة كما تفعل
الجراء عندما ترفع من أذيالها (يتهدج صوتها
فجأة) أوه ! بيل !

بيل : (مكبا برأسه وممسكا بيدها) : فريدا ! (يبتعد
عنها ويتجه الى المدفأة) يا الهى !

(تقف شاخصة اليه ، ثم تنفلت خارجة من
خلال الباب أسفل منبسط الدرج . بيل
يستدير كى يتكلم اليها فيرى أنها قد
انصرفت . يتجه صوب المدفأة ويقبض على
رفها) .

بيل : بالله هذه ....

ستار

الفصل الثاني

المنظر : حجرة جلوس ليدى تشتشير · الساعة العاشرة من صبيحة اليوم التالى · الحجرة جميلة ذات جدران بيضاء يكسو أسفلها إطار خشبى · زهريات بها أقحوان وزنابق قرمزية · نافذة يعلوها عقد تطل على متنزه تظله سماء صافية · معزف مرفوع الغطاء · مدفأة موقدة · رسائل الصــــباح مبعثرة على المكتب · بابان متقابلان يؤدى أحدهما الى « حجرة الأشغال » والآخر الى أحد الممرات · ليدى تشتشير تقف فى وسط الحجرة تنظر الى معطف سهرة تمده فريدا اليها ·

ليدى تشتشير : حسنا يا فريدا ، لو أنك تركته الآن ؟

فريدا : لا أريد أن أضرب يا سيدتى .

ليدى تشتشير : لا تقلقى على عملك هكذا . على فكرة ، لقد وعدت أباك بحضك على الاهتمام بمأكله .

(فريدا تبتسم)

ليدى تشتشير : جميل حقا أن تبتسمى . أرى أنك فى حاجة الى تقوية . هيا أقلعى عن عنادك . سأعطيك دواء عجيبا . وأظن أنه من الأفضل لك أن تتركى الآن هذا المعطف .

فـــريدا : بل أفضل أن أقيسه عليك مرة أخرى يا سيدتى.

ليدى تشـشير : (تجلس الى مكتبها) : لك ما شئت .

(فريدا تنصرف الى غرفتهـــا بينما يدخل جاكسون آتيا من الممر)

چاكسون : معذرة يا سيدتى . بالباب فتاة من أهل القرية تقول ان سيادتك طلبت رؤيتها .

ليدى تشـشير : روز تيلر ؟ دعها تدخل . أوه! لاتنس ياجاكسون أن تعد العربة فالصيد فى العاشرة والنصف .

(جاكسون ينحنى ثم ينســـحب • تنهض ليدى تششير وعليها أمارات عصبية ظاهرة ظلت تحاول كبتها • روز تيلر ، فتاة قروية متبلدة ، تدخل وتقف منتظرة بجوار الباب).

ليدى تشـشير : أهلا روز . ادخلى !

(تتقدم روز نحو خطوتين)

ليدى تشـشير : لقد فكرت أنك قد تكونين بحـــاجة الى طلب مشورتى . سمعت أن دننج فسخ خطبته اليك . أليس كذلك ؟

روز : نعم ، ولكننى أنبأته أنه لا بد أن يتزوجنى شاء أم لم يشأ .

ليدى تشـشير : هكذا ! أتظنين أن هذا هو أسلم حل ؟

روز : (ببلادة) لست أدرى يا سيدتى ولكنه ملزم بهذا ؟

ليدى تششير : آمل أنك ما زلت تكنين له بعض حب .

روز : كلا . انه ليس أهلا له .

ليدى تششير : ولـكن ..... أتظنين أنه لم يعد يحبك أبدا ؟

روز : نعم ، والا لما عاملنى بهذا الشكل . انه الآن يلاحق تلك .... تلك .... ما كان يصح له أن يتجاهلنى أو أن ينـكر وجودى هـكذا .

ليدى تششير : كلا .. بالطبع كلا .. ومع ذلك فانى واثقة أنك ستفـكرين فى هذا الموضوع جيدا . أتعدين بذلك ؟

روز : ليس عندى ما أفكر فيه أكثر مما أعرفه .

ليدى تششير : عجبا ! كيف تتزوجان بهذه الروح ؟ انه زواج العمر يا روز (تتفرس وجهها) . انى على استعداد دائم لمعونتك .

روز : (بايماءة خفيفة) : شكرا يا سيدتى ، ولكنى أظن أنه لا بد أن يتزوجنى . لقد أنبأته أنه لامفر له من ذلك .

ليدى تششير : (فى تنهدة) : حسنا ، هذا كل ما أردت قوله .

انها مسألة كرامتك ، وليس بوسعى أن أقدم اليك أية نصيحة مجدية . ولكن تذكرى دائما .. ان احتجت الى صديقة ...

روز : (تبتلع ريقها) : اننى فى الواقع لا أظلمه ؛ كل ما أطلبه هو أن ينصفنى .

ليدى تشستير : (ترفع حاجبيها قليلا وتتكلم برقة) : نعم ، نعم .. أعلم ذلك .

روز : (تلقى نظرة خاطفة على الباب) : لا أحب أن يرانى أحد من الخدم .

ليدى تشستير : اذن تعالى معى . سأقود الى الخارج عن طريق آخر .

(تدخل دوت حال وصولهما الى الباب) .

دوت : (تلقى نظرة خاطفة على روز) : أتسمحين لى باستعمال هذه الحجرة من أجل هذه البروفات العفنة يا أماه ؟

ليدى تشستير : تفضلى يا عزيزتى ، تستطيعين تهويتها هنا .

(تمسك بالباب مفتوحا لروز ، ثم تتبعها الى الخارج . دوت تمسك بنسخة من مسرحية « الطبقات » وترتب أثاث الحجرة حسب رسم ايضاحى بها) .

دوت : جميل ! مقعد .. مقعد .. منضدة .. مقعد ..
يا للعنة ! منضدة .. معزف .. مدفأة .. نافذة !
(تبرز مشطا صغيرا) مشط لاكليز . مهــد ؟
نعم مهد .. (تلقى بسلة مهملات الى الأرض
بعنف وشراسة ، ثم تضع فيها « دواسة »)
وها هو الطفل الميمون ! (ثم تقرأ من الـكتاب
فى تجهم وعبوس) « يدخل اكليز لاهثـا .
ينهض بولى واستر .. استر تضع الغطاء على
علبة القيعات » ها ! علبة قبعات !

(تبحث عن بديل لعلبة القبعات • تفتح
باب حجرة الأشغال)

دوت : فريدا ؟

(تدخل فريدا)

دوت : عجبا يا فريدا . أهناك ما يضايقك ؟ مالى أراك
مكتئبة هكذا ؟

(فريدا لاتحير جوابا)

دوت : مالك لا تبدين هذه الأيام تلك الزهرة التى
عهدناها ؟

فــريدا : انى بخير . شكرا لك يا مس دوت .

دوت : أكانت أمى تعطيك الدواء ؟

فريدا : (بابتسامة خفيفة) : للآن ، كلا .

دوت : اذن فليس هذا هو السبب (بدافع حماسى مفاجىء) ما الخبر يا فريدا ؟

فريدا : لا شيء .

دوت : (تحول مجرى الحديث) : ألديك ما يشغلك كثيرا هذا الصباح ؟

فريدا : لا شيء سوى هذا المعطف لسيدتى .

دوت : أوه ، لا بأس من تركه بعض الوقت ، فقد أحتاج اليك لتقومى بالتلقين ان لم أفلح فى تحفيظهم . (متجهمة) ما أكثر ما يخطئون ! ألديك مانع ؟

فريدا : (بتبلد) : بل هذا يسعدنى كثيرا يا مس دوت .

دوت : (تتفرس فيها مرتابة) : اتفقنا . والآن .. آه ، ماذا كنت أريد ؟

(تدخل چين)

چين : اسمعى يا دوت . بخصوص الطفل فى هذا المشهد . أرى أنه يتحتم علينا أن نوليه اهتماما أكبر .

دوت : يا لك من مخلوقة شاعرية تافهة ! (تنتزع « الدواسة » من مقبضها فتخرجها وتمسك بها ممدودة اليها) هيا أرينا كيف تمثلين ؟

چين : (مرتدة) : ولكن يا دوت ، بم سنستعيض فعلا عن الطفل ؟ لا أستطيع أن أؤدي دوري مع هذا الشيء . أعندك اقتراح يا فريدا ؟

فريدا : استعيرى طفلا حقيقيا يا مس چين ، فما أكثر من لا قيمة له منهم .

چين : ما أبشعك يا فريدا !

دوت : (تلقي بالدواسة الي السلة ثانية) : حاولي أن تروضي نفسك على ما أعطي لك .

(تدخل كريستين وميجل لانفارن فتستدير فريدا بغتة وتنصرف) .

دوت : أسرعا ! أين بيل وهارولد ؟ (مخاطبة چين) اذهبى فتصيديهما أيتها القطة الماكرة .

(بيل وهارولد يتبعهما لاتر يظهرون فى هذه الآونة فى مدخل الباب . يدخلون . لاتر يعثر بسلة المهملات فيرفعها ليثبتها فى موضعها) .

دوت : دع هذا المهد فى مكانه يا چون ! (وهو يرفع

« الدواسة » منها) . ودع الطفل مكانه ! والآن !
بيل . ادخل من هناك (مشيرة الى باب حجرة
الأشغال حيث يقف بيل ومبيل ملاصقين للمعزف
بينما يتجه هارولد الى النافذة) . چون ! ابتعد
عن المسرح ! والآن « يدخل اكليز لاهثا . ينهض
بولى واستر » انتظروا قليلا . تذكرت (يفتح
باب حجرة الأشغال) فريدا ، أعطنى علبة قبعات.

هارولد : (مبتهجا) : أكره ما علىّ أن أبدأ هذه البروفات.
ان المرء ليشعر وكأنه أبله .

دوت : (متجهمة وقد أمسكت بعلبة القبعات) : صبرا ،
ستشعر بأنك أكثر بلاهة حينما تبدأ فعلا
(مخاطبة بيل وهو يحملق فى حجرة الأشغال) ،
اقفل الباب الآن .

(بيل يغلق الباب)

لاتر : (يتقدم) : لحظة واحدة ! أريد أن أوضح
نقطة سيكولوچية قبل أن نبدأ .

دوت : يا الهى !

لاتر : عندما أحضر اللبن .. أيجب أن أتظاهر بالجدية

كما لو كان هذا فى طبيعتى ؟ .. أقصد أننى أرى أنه يجب أن أكون ..

چين : أوه ! چون لا أظن أن المؤلف يقصد ..

دوت : اسكتى أنت ! ارجع الى الوراء يا چون وكفاك حديثا عن اللبن ! ابدأ . ابدأ . ابدأ يا بيل !

لاتر : (يستدير ويتقدم ثانية) : يبدو لى أنكم لا تقدرون أهمية دورى .

ميبل : أوه ! كلا يا مستر لاتر !

لاتر : لا أريد اطلاقا أن أمسخ جو المشهد ، ولكننى أريد أن أستوضحكم روح تمثيله . ما هى الروح المطلوبة ؟

دوت : (عابسة) : المرح !

لاتر : صراحة ، لا أوافقكم على ذلك . ثقوا أننا سنمسخ هذه المسرحية ان نحن لجأنا فيها الى المرح .

دوت : أتظن ذلك ؟ استعدوا .. !

ميبل : (مخاطبة بيل برقة) : مستر تششير !

بيل : (فى استماتة) : هيا نبدأ !

دوت : تلوّح للاتر أن يبتعد) . ابدأ . ابدأ ! . يا لصبر أيوب ! ها نحن أخيرا !

(يدخل چاكسون فى هذه اللحظة)

چاكسون : (مخاطبا كريستين) سيدتى ، لقد طلب منى ستدنهام أن أسأل ان كانت الآنسات ترغبن فى رؤية الجراء الأسبانية . لقد أحضرها معه[1] .

چين : (منطلقة) : أوه ! هيا معى يا چون !

(تندفع صوب الباب يتبعها لاتر)

دوت : (تلوّح بعصبية بكتابها) قفا ! أيها .. !

(كريستين وهارولد يمرقان ، هما الآخران من أمامها)

دوت : (يائسة) برابرة ! (تشد شعرها بعنف) أنجاس ! ملاعين !

(تندفع وراءهم)

(بيل وميبل وحدهما)

ميبل : (ساخرة) وأنت ، ألا تريد جروا من هذه الجراء ؟

---

(١) كلاب صغيرة الجسم طويلة الإذنين والشعر ، معروف عنها التذلل وسلاسة القياد . (المترجم)

بيل : (بتحفظ وتجهم وتألم ، وقد تعلق بصره بباب حجرة الأشغال) ليس باستطاعتى أن أحتفظ بكلب فى المدينة . تستطيعين أنت أن تأخذى واحدا .. ان شئت . انها سلالة جيدة .

ميبل : نقيّة مصفّاة ؟

بيل : تأكدى أن أخواتى سيعطونك واحدا منها . انهن يتخيلن فقط أنهن يردنها .

ميبل : (تدنو منه ، ويداها معقودتان خلفها) أتعلم ؟ انك تذكرنى كثيرا بوالدك .. مع فارق واحد .. أنك لا تدانيه فى أدبه . يا للحيرة ! انى لا أفهمكم معشر مـلاّك الأرض الانجليز ، ولا أفهم طريقتكم فى معاملة نسائكم (يتغير صوتها فجأة) ماذا دهاك ليلة أمس ؟ (برقة) ألن تقول لى ؟

بيل : ليس عندى ما أقوله .

ميبل : آه ! كلا يا مستر بيل .

بيل : (يكاد يستسلم لصوتها — يعاود الرد مكتئبا) انه القلق كما أظن .

ميبل : (تعود الى سخريتها) وهل برئت منه ؟

بيــل : بالله لا تتهكمى علىّ .

ميبــل : انك لمريع حقا !

بيــل : شكرا .

ميبــل : ولكنى أحب ، كما تعلم ، أن أعبر حقلا به ثور يرتع .

بيــل : حقا ! شئ طريف للغاية !

ميبــل : نعم ، أحب طريقة حملقته فى الشيء أمامه دون سواه (تتراجع بينما هو يتقدم) وايقاعه هذا العابر وذلك .

بيــل : ألا يستحسن أن تتحـــرزى بعض الشيء فى أقوالك ؟

ميبــل : ثم وهو لا يرى السياج حتى ينغرز فيه . فيرمح لتوّه من هذا السياج الى ذاك .

بيــل : ما الذى يدعوك الى استدارجى هذا الصباح بالذات ؟

ميبــل : الصــباح المشرق ! (فجأة) مسكينة فريدا . لابد أنها تعانى الملل وهى تكدّ هناك بينما هذا اللهو على قدم وساق هنا .

بيــل : (يرنو الى الباب) أتسمينه لهوا ؟

ميبل : لنعد الآن الى الحديث عنك .. يا مستر تششير .

بيل : كلا أرجوك .

ميبل : انك لتثير فىّ نزعتى الأيرلندية [1] . ألأنك انجليزى لحما ودما ؟ آه ! أراه يحرّك أذنيه . انه الآن يدق الأرض بظلفيه .. ها ! أخيرا أهجته .

بيل : مس لانفارن ! أرجوك !

ميبل : (تتراجع وتتراجع أمامه وتجذبه اليها بلحظها وابتسامتها) لن يسعك سوى أن تتعقبنى (تغير لهجتها الى لهجة رصينة جادة) أليس كذلك ؟ لسوف تشعر بذلك بعدما أذهب .

(يقفان فى سكون ، ينظر كل فى عينى الآخر • فريدا تفتح باب « حجرة الأشغال» وتحملق فيهما) •

ميبل : (حال رؤيتها) ها هو مرقى السياج . وداعا يا سيدى الثور .

---

(١) المقصود بهذا ــ الغضب وحدة الطباع• (المترجم)

(تضع يدها خلفها وتفتح الباب وتنفلت من خلاله تاركة بيل يستدير كى ينظر صوب اتجاه عينها فاذا به يرى فريدا والمعطف ما يزال فى يدها) .

بيل : (يسير نحوها ببطء) لم يغمض لى جفن ليلة البارحة .

فريدا : حقا ؟

بيل : وأنت ، هل فكرت فى الأمر ؟

(فريدا تطلق ضحكة مقتضبة مريرة)

بيل : بربك لا تسخرى . لابد من خطة . سنرحل بعيدا . لن أتركك تقاسين . أقسم لك بذلك .

فريدا : خطة بارعة !

بيل : يا الهى ، بودى لو لم تكن أمورى على هذا النحو من التعقيد .

فريدا : اطمئن .. لن .. يصيبنى .. مكروه .

بيل : اعتبرينى وغدا سفيها . (تهز رأسها) أهيلى علىّ الشتائم والسباب .. بالله تكلمى ! لا تنظرى هكذا !

فريدا : أكنت تحبنى حقا ؟

بيل : انى أحبك دائما أبدا . هات يديك .

(تنظر اليه ثم تسحب يديها من يديه وتغطى وجهها)

بيل : (ملوحا بجمع يده) فريدا . سأثبت لك صدقى.

(تطوق عنقه فجأة بذراعيها وتتعلق به) أجل ، سأثبت ذلك .

(صوت مقبض الباب يدور . يثبان بعيداً عن بعضهما فيريان ليدى تششير تنظر اليهما) .

ليدى تششير : (بلا تهكم) : معذرة .

(تتحرك كمن يبغى الانسحاب من اقحام غير مرغوب فيه ، ولكنها تستدير بغتة وتقف مزمومة الشفتين منتظرة) .

ليدى تششير : جميل !

(فريدا تغطى وجهها ولكن بيل يستدير ويواجه أمه) .

بيل : بالله لا توجهى اليها لفظا جارحا !

ليدى تششير : (تحاول أن تتحدث اليه ولكنها تخفق فى ذلك . توجه كلامها الى فريدا) من فضلك .. دعينا وحدنا .

بيـل : (متشبثا بذراع فريدا) كلا .

(ليدى تشششير تتجه بعد لحظة تردد نحو الباب لتخرج هى)

بيـل : انتظرى يا أماه !

ليدى تشـشير : لا أظن ذلك .

بيـل : (ينظر الى فريدا وقد انحنت كمن تلقى ضربة) يا لله ! .. يا للعار !

ليدى تشـشير : أجـل .

بيـل : (باصرار مباغت) ليس الأمر كما تظنين . لقد طلبت يدها .

(فريدا ترمقه بنظرة محمومة تدير وجهها وجهة أخرى) .

ليدى تشـشير : (تنقل بصرها بينهما) لا .. أظن .. أننى .. أفهم .. هذا .. تماما .

بيـل : (بنبرة أودعها وحشيّة كمده) ان ما قلته واضح وضوح الشمس .

ليدى تشـشير : بيـل !

بيـل : أؤكد لك أننى سأتزوجها .

ليدى تشـشير : (لفريدا) أهذا صحيح ؟

(فريدا تبتلع ريقها وتلوذ بالصمت)

بيـل : ان شئت أن تقولى شيئا فقوليه لى يا أماه .
(تقبض على حافة منضدة صغيرة) أعطنى مقعدا من فضلك . (بيل يناولها مقعدا) .

ليدى تشـشير : (لفريدا) اجلسى من فضلك .
(فريدا تجلس على مقعد المعزف وقد أدارت وجهها بعيدا عنهما)

ليدى تشـشير : (وعيناها على فريدا لا تبرحانها) والآن أفصح !

بيـل : لقد أحببتها وأحبتنى .

ليدى تشـشير : متى ؟

بيـل : فى الصيف الماضى .

ليدى تشـشير : آه !

بيـل : لم يكن الخطأ خطأها .

ليدى تشـشير : حقـا ؟

بيـل : (بنبرة وعيد) أماه !

ليدى تشـشير : معذرة ، فالفكرة جديدة علىّ . تقول انك .. طلبت يدها ؟

بيـل : نعم .

ليدى تشـشير : ولكن هل فكرت فى أوجه الاعتراض على خطبة كهذه ؟ (تغير لهجتها فجأة) بيل ! ما معنى هـذا ؟

بيـــل : اذا كنت تظنين أنها ورطتنى ..

ليدى تشـــشير : أنا لا أظن أنها ورطتك ولا أظن أنك ورطتها . لا أظن شيئا ولا أفهم شيئا .

بيـــل : (عابسا) كلام طيب !

ليدى تشـــشير : قل لى ، هذه الخطبة .. منذ متى ؟

بيـــل : (بعد برهة صمت) منذ شهرين .

ليدى تشـــشير : (منفجرة) هذا .. هذا مستحيل .

بيـــل : ستجدين أنه ليس كذلك .

ليدى تشـــشير : انه البؤس المحقق .

بيـــل : (يشير الى حجرة الأشغال) انتظرى هنـــاك يا فريدا .

ليدى تشـــشير : (بسرعة) قل لى . أما زلت تحبها ؟

(فريدا تتجه صوب تلك الحجرة وتحاول كتم نشيجها)

بيـــل : قطعا أحبها .

(تنهض ليدى تشنشير فجأة حال انصراف فريدا بدافع من شعورها المتـــأجج الذى ظلت تحاول السيطرة عليه)

ليدى تشـــشير : بيل ! أوه . بيل ! ما معنى هذا كله ؟ (بيـــل يكتفى بهزة من كتفه وهو ينقِّل بصره بين هذا

الجانب وذاك) أؤكد لك أنك لا تحبها الآن .
لن أصدق أنك ما زلت تحبها .

بيل : بل أحبها .

ليدى تشستير : ما هذه لهجة محب صادق .

بيل : وهى أيضا تحبنى .

ليدى تشستير : (بمرارة) مفهوم .

بيل : ولن أسمح لأحد أن ينال منها .

ليدى تشستير : (فى مشقة) بيل ! أتعرف عنى أننى امرأة قاسية أو خبيسة ؟

بيل : أمـاه !

ليدى تشستير : ولكنها حياتك .. و .. حياة أبيك .. حياتنا كلنا . أريد أن أفهم .. بل يجب أن أفهم .. هل أنت مدرك لبشاعة هذه المسألة بالنسبة لنا جميعا ؟ مستحيل أن يستمر هذا الموضوع .

بيل : اننى أعلم ما بينى وبين أبى من متاعب دون هذا . لذا سأحرص أنا وهى على ألا نكون فى طريقه .

ليدى تشستير : هلا كاشفتنى بكل شىء ؟

بيل : لقد فعلت ذلك .

ليدى تشــشير : اننى أمك يا بيل .

بيــل : ما جدوى هذه الأسئلة ؟

ليدى تشــشير : اذن فلن تفشى سرها !

بيــل : بل لقد قلت لك كل ما عندى . لقد تعاهدنا على الزواج وسوف نتزوج فى هدوء .. و .. و .. نرحل الى كندا .

ليدى تشــشير : لو لم يكن هناك أشياء أخرى لقلت انك تحبها حقيقة .

بيــل : قلت لك اننى أحبها فعلا .

ليدى تشــشير : كلا (بضراوة) اننى أعرف .. أعرف أن وراء ذلك ما وراءه .

بيــل : أنت واهمة .

ليدى تشــشير : (فى حيرة وارتياب) أتعنى أن حبك لها يعدل ما كان يمكن أن يكون لفتاة من طبقتنا ؟

بيــل : (بمرارة) ولم لا ؟

ليدى تشــشير : (بتهكم لاذع) ليست هذه هى القاعدة .

بيــل : أماه ! ما أذكر قط أننى سمعت منك أو من أخواتى كلمة واحدة فى حق فريدا ، لذا أتوسل اليك ألا تبدئى الآن ، فليس هذا وقته .

ليدى تشستير : (برصانة) ثق أن كل زواج هذا شأنه مآله
البؤس والشقاء اذ لا يجمع بينكما ميول
أو تقاليد مشتركة . انك لا تدرى معنى الزواج
يا بنى . انه أيام وأيام وسنوات تلو سنوات ،
ولن تشفع العاطفة .. لخير لأناس نُشِّئوا
نشأتنا أن يتزوجوا من أوساطهم وان اختلفوا
روحا من أن يعاشروا عادات وطبائع مختلفة .
ثم لا تنسى ما سيجره ذلك عليك من فاقة ،
فلن يغفر لك أبوك أبدا ، وأنا لا أملك شيئا
يذكر ، فماذا تستطيع أن تفعل وأنت لا مهنة لك .
كيف تواجه الحياة مع زوجة كهذه .. ؟ هذا
شيء من كثير .

بيل : اعلم كل ذلك وشكرا .

ليدى تشستير : من المؤسف أنه ما من أحد يدرك ذلك الا بعد
تورّطه . ان الزواج مشكلة حتى ولو كان
الزوجان من طبقة واحدة ، فما بالك ان اختلفت
طبقتهما ؟ (تتجه اليه فجأة) . أنصحك
يا بيل ! تدارك هذا الأمر يا بنى قبل فوات
الأوان .

بيــل : (بعد مغالبة لنفسه) عبثا تحاولين .

ليدى تشــشير : لا تظن أن هذا انصاف لها ، فلن يجلب لهــا سوى التعاسة والشقاء .

بيــل : دعى هذا لى بعد اذنك .

ليدى تشــشير : (بانفعال وغضب) ها ! ما هذا الا". تصرف أهل الغرور ، ولكنك .. لا تعرف من المتاعب حتى معناها .

بيــل : دعينا من هذا الموضوع يا أماه !

ليدى تشــشير : بيل . أستحلفك بشرفك ، أتتصرف بوحى من محض ارادتك ؟

بيــل : (يبتعد عنها) لن أنتظر أطول من هذا . (ينصرف ليدخل حجرة الأشغال) .

ليدى تشــشير : ما العمل يا ربى !

(تقف فى محنتها ، جامدة ، ثم تتجه الى باب حجرة الأشغال وتفتحه)

ليدى تشــشير : فريدا ، تعالى هنا من فضلك .

(برهة صمت . تظهر فريدا ، وقد علاها شحوب واعترتها رعدة ، فى مدخل الباب، يتبعها بيل) .

ليدى تشـشير : كلا يا بيل . أريد أن أتحدث اليها على انفراد .

(بيل لايتحرك)

ليدى تشـشير : (ببرود) أرجوك أن تتركنا وحدنا .

(بيل يتردد ثم يهز كتفيه ويلمس ذراعى فريدا ويعود الى حجرة الأشغال ويقفـــل الباب خلفه . فترة صمت) .

ليدى تشـشير : خبرينى . كيف حدث هذا ؟

فـــريدا : لا أعرف يا سيدتى البارونة .

ليدى تشـشير : بالله لا تنادينى هكذا ثانية مهما حدث يا فتاتى (تتجه الى النافذة وتتكلم من هناك) اننى أعرف جيدا كيف يأتى الحب . أنا لا ألومك على ما حدث . لا تبكى . ولكنك تعرفين أنه ابنى الأكبر (فريدا تضع يدها على صدرها) أجل ، أعلم ذلك ، وأعلم أن النساء هن ضحايا هذه الزلات دائما . هذا أمر طبيعى . ولكنك لست الضحية الوحيدة .. أليس كذلك ؟ أيعلم أحد بذلك ؟

فـــريدا : كلا .

ليدى تشـشير : ولا حتى أبوك ؟ (فريدا تهز رأســها علامة

النفى) . ما من شيء أقسى على نفس امرأة من أن تتدلى كحجر حول عنق رجل . ما مـدى علاقتكما ؟ تكلمى .

فـريدا : لا أستطيع .

ليدى تشـشير : هيـا !

فـريدا : كلا .. لن أفعل .

ليدى تشـشير : (تبتسم بمرارة) لن تبوحى بسره ؟ كلاكما يتستّر على الآخـر . ما جدوى ذلك معى ؟ انظرى الىّ ! ألم يكن معك عندما قمت باجازتك هذا الصيف ؟

فـريدا : لقد كان سلوكه .. سلوك .. رجل مهذب .. دائما .

ليدى تشـشير : بل سلوك رجل .. هذا قصدك .

فـريدا : ليس الخطأ خطأه ! اننى أحبه كثيرا .

(ليدى تششير تستدير فجأة وتشرع فى ذرع الغرفـة جيئة وذهوبا ، ثم تتوقف وتمعن النظر فى فريدا) .

ليدى تشـشير : لست أدرى ماذا أقول لك . انه الجنون المطبق ! محال أن يستمر هذا .

فـــريدا : (مغتمّة) أعلم أننى لست كفئا له ولكننى .. انسانة .

ليدى تشـشير : (تسارع بالرد على أول بادرة بتوكيد الحقوق بصرامة مباغته) أيحبك الآن ؟

فـــريدا : حرام عليك .. ليس هذا عدلا ..

ليدى تشـشير : ان كان الرجال كالبارود يا فريدا فما هــذه طبيعة النساء .. وان كنت قد فقدتيه فلا تلومى الا نفسك .

فـــريدا : ولكنه يحبنى فعلا . بل لابد أنه يحبنى فلم يمض علينا أكثر من أربعة أشهر .

ليدى تشـشير : (تطـــرق الى الأرض وتتكلم بسرعة) اصغى الىّ . اننى أحب ولدى ولكننى أعـــرفه .. بل أعرف كل أبناء جنسه من الرجال . لقــد عاشرت أحدهم ثلاثين عاما وأعرف كيف تعمــل احساساتهم . فهم عندما يريدون شيئا فانهم لابد بالغوه ، ثم .. يعضون أصابع الندم .

فـــريدا : (مكتئبة) انه ليس نادما .

ليدى تشـشير : أيحبك الى الحد الذى يمكّنكما من تخطى كل

العقبات ؟ .. أنت تعلمين أن الأمر ليس كذلك .

فريدا : لو كنت فتاة من طبقتكم لما تكلمت بهذه الطريقة .

ليدى تششير : لو كنت هكذا لما واجه أحدكما أى صعاب . لسوف تجعلينه يبغضك .

فريدا : لن أصدق ما تقولين . أستطيع اسعاده .. اتركينا وشأننا .

ليدى تششير : لا أود أن ينفلت لسانى فأسمعك ما ينبغى لك أن تعرفيه ، ولكنى أكتفى بأن أطلب اليك أن تضعى نفسك موضعنا .

فريدا : نعم ! نعم !

ليدى تششير : يجدر بك أن تعرفينى على حقيقتى بدلا من أن تظنى أننى أنانية لا أفكر الا فى نفسى .

فريدا : أتحبين أن تضعى نفسك موضعى ؟ (تدفع برأسها ترفعه الى أعلى) .

ليدى تششير : ماذا !

فريدا : نعم ، نفس وضع روز .

ليدى تششير : (فى صوت خفيض مرتاع) أوه !

(سكون تام . تهرع الى فريدا وتحملق فى عينيها)

فـــريدا : (ترد على نظرتها بالمثل) ويحى . نعم .. انها الحقيقة . (تلهث اذ تخاطب بيل وقد جاء من حجرة الأشغال) لم أقصد قط أن أبوح بشىء .

بيــل : والآن ، هل اقتنعت يا أماه ؟

ليدى تشـشير : (هامسة) وامصيبتاه !

بيــل : اذن أظن من الأفضل أن نخبر أبى .

ليدى تشـشير : حذار . لم يحن الوقت بعد !

بيــل : ولكن الانتظار لن يحل المشكلة .

(ينفتح البـــاب المؤدى الى الممر وتدخل كريستين ودوت عدوا وبيد كل منهما نسخة من المسرحية • تلاحظان حالة التوتر هذه فتجمدان فى مكانهما • ينظر بيل الى أمه ثم يستدير فجأة ويعود الى حجرة الأشغال تتجه ليدى تشـشير صوب النافذة) •

چـين : (تدخل فى اثر أختيها) لقد وصلت العربة . عجبا ! ماذا جرى ؟

دوت : اسكتى !

(يسمع صوت سير وليم آتيـــا من الممر مناديا « دوروثى ! » ليدى تشـشير تستدير لتخرج وهى تمسح وجهها بمنديلها • يدخل فى هذه اللحظة وهو فى لباس الصـــيد

الكامل . وجهه متورد لوّحه الجو . يرتدى
قبعة بنية اللون وحذاء من جلد الغزال)

سير وليم : ها أنا خارج يا عزيزتى (مخاطبا بناته فى غبطة)
ها ! تعملون البروفات ؟ ما هـذا ! (يتجه
الى فريدا مادا يده اليمنى وقد ارتدى قفازا)
أتسمحين بزرّه لى يا فريدا . أجد بعض صعوبة
فى ذلك !

(فريدا تزر القفاز . ليدى تششير وبناتها
ترقبانهما فى صمت مطبق)

سير وليم : شكرا ! يوم عطر كالربيع . (مخاطبا ليدى
تششير) الى اللقاء يا عزيزتى ! (يربت على
كتف چين) كان بودى أن تخرجى معنا
يا چين .

(يخرج تاركا الباب مفتوحا . يتلاشى وقع
أقدامه وما يصاحبه من طرقات الحديد فى
حذائه رويدا رويدا . تستدير فريدا وتندفع
الى حجرة الأشغال) .

كريستين : أماه ! ماذا .. ؟

(ولكن ليدى تششير تشير الى ابنتها
بالسكوت ، وتمر بازائها خارجة الى الممر .
يسمع صوت سيارة) .

چين : (تهرع الى النافذة) لقد ذهبوا ! .. كريس !
ما الخبر ؟ ما الخبر يادوت ؟

دوت : بيل وهى ؟

چين : ماذا تقصدين ؟

دوت : (متجهمة) الله أعلم ! اغربى عن وجهى فلست أهلا لذلك .

چين : (مذهولة) بل أهل له .

دوت : لا أظن ذلك .

چين : ما الخبر يا كريس ؟

كريستين : (حانقة) كان يجب أن تخبرنا أمنا .

چين : لا أظن أن الأمر جد خطير ، ففريدا فتاة طيبة للغاية .

دوت : وتدّعين أنك تحبين أينتها .. القطيطة العمياء !

كريستين : من المؤلم حقا ألاّ نعلم شيئا ! بودى لو أن رونى لم يذهب .

چين : أأذهب أنا وأنادى چون ؟

دوت : چون !

كريستين : قد يعرف هارولد سر ذلك .

چين : لقد ذهب مع ستدنهام .

دوت : هكذا حالنا معشر النساء . يحكم علينا بالبقاء معصوبات الأعين الى الأبد . ارغام على الزواج هنا وزيف وخداع هناك . هذا العجوز البشع !

چين : دوت !

كريستين : لا أسمح لك بأن تتكلمى هكذا عن أبى .

دوت : أجل انه كذلك ! ولسوف يصير بيل مثله فى سن الخمسين ! كان الله فى عون فريدا مهما حدث منها ! لأحب الىّ أن أمتهن أحقر الأعمال وأذلها من أن أكون امرأة .

چين : دوت ، يا لك من مخلوقة بشعة !

دوت : ويا لك من جبانة رعديدة !

كريستين : كفاك هراء عن النساء !

دوت : اطمئنى ، لقد تزوجت أنت ولا مساس بك فيما أقول . ثم ان رونى ليس من هؤلاء الانجليز الجبابرة (مخاطبة چين وكانت هذه قد فتحت الباب) تبحثين عن چون ؟ أريحى نفسك يا عزيزتى . انه هو الآخر طلاء ليس الاّ .

چين : (تهمس من الباب مذعورة) ها هى ميبل مقبلة !

دوت : اللهم لاراد لقضائك !

كريستين : آه لو نعلم فقط !

(تدخل ميبل فتلوذ الفتيات الثلاث بالصمت ويثبتن أعينهن على كتبهن)

ميبل : الفرقة الصامتة !

دوت : (تشخص اليها) لقد قررنا ايقافها اليوم .

ميبل : لم ؟ ماذا حدث ؟

كريستين : أوه ! لا شيء .

ميبل : حقا ؟ انى آسفة (مترددة) أهو من السوء بحيث يتطلب منى الرحيل ؟

كريستين : أوه ، كلا يا ميبل ، له يحدث شيء اطلاقا .

دوت : (فى تهكم) بل حدث .

(تنقل بصرها من وجه الى آخر . بيل يدخل آتيا من حجرة الأشغال يمشى بعض خطوات عبر الحجرة ، ولكنه يتوقف وينظر الى الفتيات الأربع بعناد)

بيل : تماما ! الواقع يا مس لانفارن أننى خطبت وصيفة أمى .

(لايتحرك أحد أو يتكلم . تتجه مس لانفارن اليه فجأة مادة يدها اليه ، فلا يمد يده

مكتفيا بانحناءة منه • ميبل تلقي على أوجه
الفتيات الثلاث نظرة خاطفة ثم تخرج الى
الممر تاركـــة اياهن يحملقن فى أخيهن
مشدوهات)

بيــل : (ببرود) ظننت أنكن قد تحببن معرفة ذلك .

(يخرج هو الآخر الى الممر)

كريســتين : يا الهى !

چــين : يا للهول !

كريســتين : هذا آخر ما كنت أتوقعه .

چــين : أوه ! كريس ! لابد من عمل شيء !

دوت : (تخاطب نفسها فجأة) ها ! عندما صعد أبى
لتزر له قفازه !

(صوت يسمع • يدخل جاكسون آتيا من
الممر)

جاكسون : (مخاطبا دوت) : أتسمح سيدتى ؟ لقد أحضر
ستدنهام الجروين الآخرين وهو الآن منتظر
بالخارج ويسأل هل تتكرمن برؤيتها .

(صمت)

دوت : (مقاطعة) كلا .

كريســتين : أعفنا هذه اللحظة يا جاكسون .

چاكسون : أينتظر ستدنهام وجراؤه يا سيدتى ؟

(دوت تهز رأسها بعنف ، ولكنهن يرين ستدنهام وقد قف فعلا ، فى هذه اللحظة ، فى مدخل الباب ، ومعه ، فى كل من جيبيه الجانبيين ، جرو أسبانى . يدخل چاكسون ويقف منتظرا خلفه)

ستدنهام : ان صاحبنا هـذا هو أحسنهما يا مس دوت (يبـرز الجيب الأيمن) كنت أحتفـظ به لابنتى .. سلالة ممتازة .. صورة طبق الأصل من أبيه .

(الفتيات يحملقن فى صمت)

دوت : (متعجلة) شكرا يا ستدنهام . لقد رأيناهما .

ستدنهام : لن أخرجهما فهما ما زالا شكسين .

كريستين : (يائسة) كلا ، بالطبع كلا .

ستدنهام : اذن فأنت تظنين أنك سـوف تحبينه يا مس دوت ؟ أما الآخر فصدره أبيض انها أنثى .

(يبرز الجيب الأيسر)

دوت : أوه . نعم ! شكرا يا ستدنهام . شكرا جزيلا .

ستدنهام : مخلوقات وفية عجيبة . تتبعك كظلك أينما ذهبت . لا تستطيعين زعـزعة ولائها مهما

حاولت . (يبرز الجيب الأيمن) لقد تعلقت به ابنتى ولكن لا بأس فانه لابد لها من الاستغناء عنـــه .

دوت : (كالمصعوقة) أوه ، كلا . محال أن آخذه منها .

ستدنهام : دمت يا سيدتى . انها لن تأبه بذلك . اتفقنا اذن (يستدير صوب الباب . مخاطبا الجرو) آه ! هذه بغيتك اذن ! تريد أن تتملص ! يا لك من جرو فتّى دءوب !

(يخرج يتبعه چاكسون)

كريســتين : يا للبشاعة !

دوت : (تلمح الكتاب فى يدها) « الطبقات » !

(تطلق ضحكة حادة قصيرة)

ســـــتار

الفصل الثالث

(الساعة الخامسة من نفس اليوم . المنظر : غرفة التدخين وقد علق على جدرانها الأرجوانية بعض مناظر للصيد وسباق الخيل . مقاعد وثيرة حول حاجز المدفأة الموقدة . ستائر النوافذ لم تسدل بعد وان كانت الغرفة مضاءة بالكهرباء . بابان يؤدى أحدهما الى حجرة البليارد والآخر الى الممر . بيل يذرع الحجرة جيئة وذهوبا . هارولد يقف بجوار المدفأة يرمقه فى رثاء) .

بيـل : كم الساعة الآن ؟

هـارولد : الخامسة تقريبا . لن يصلوا الآن ، ولعل فى هذا ما يسرى عنك . صيد طيب دائما .. (برقة) كما قال النمر وهو يأكل الرجل فريسته .

بيـل : قسما بالله يا هارولد ، انك الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أطيقه على بعد ميل منى !

هـارولد : أتظن حقيقـــة يا أخى أنك ستحسّن الموقف بزواجك منها ؟

(بيل يهز كتفيه ويظل يذرع الحجرة جيئة وذهوبا)

هـارولد : علام استقر رأيك ؟

بيـل : أنظر ! اننى لست ممن يلقون القول جزافا .

هـارولد : حاشا لله يا عزيزى !

بيـل : ولكن المشكلة أن عندى شيئا من عزة النفس وان كنت لن تصدق ذلك .

هـارولد : مسكين يا عزيزى !

بيـل : لعمرى هذا أدنأ عمل يمكن لانسان أن يقـدم عليه .. تصوّر ، وصيفة أمى ! لقد عرفناها منذ أن كانت هكذا . (يرفع يده ليرمز الى صغرها) لقد تبدّى لى الآن كل شىء بعد أن .. أفقت لوعيى .

هـارولد : بالله ما أغربك ! ان لم تعد متعلقا بها يا بيـل فلم لا تحكّم عقلك يا عزيزى ؟

(صمت • بيل يذرع الحجرة جيئة وذهوبا من جديد)

بيـل : ان كنت تظن أننى أحفـل بالمرة بالجـانب الخلقى للموضوع فأنت ..

هـارولد : أوه ، كلا يا عزيزى ! بالطبع كلا !

بيـل : كل ما فى الأمر أننى سأشعر بأننى نذل حقير

ان أنا تخليت عنها فى ورطتها بعد أن ذاع سرها وشاع . جرِّب هذا بنفسك ولسوف ترى .

هـارولد : مسكين يا عزيزى !

بيـل : لو أنها هى التى حاولت ارغامى على ما أقدمت عليه لاختلف الوضع . ولكنها انسانة غضة رقيقة . لا أستطيع أن أتصور لم تغابيت هكذا . ما قصدت قط أن ..

هـارولد : كلا ، أعـلم ذلك ! ولكن أرجوك ألا تتهـور يا بيل . احتفظ بصفاء فكرك يا عزيزى .

بيـل : لست أرى ضررا يعود على هذا البلد ان رحلت عنه . (صوت ارتطام كرات البلياردو) من هذا ؟

هـارولد : أظنه چون . (يتوقف صوت الكرات)

بيـل : انه قادم . ياللحيرة !

(يهرع بيل خارجا حال ظهور لاتر من حجرة البلياردو)

لاتر : أكان هذا بيل ؟

هـارولد : نعم .

لاتر : هل من جديد ؟

هـارولد : (يذرع الحجرة بدوره) : ان حيرة فأر فى مصيدة لأهون بكثير من حيرته هو . ان مشكلته أغرب من الخيال يا چون ! ما قيمة جدالك مع رونى الآن يا سيدى ؟ على كل ، من حسن حظك أن الفرصة مازالت سانحة أمامك .

لاتر : ما قصدك ؟

هـارولد : أقصد ألاّ داعى لأن ترتبط بهذه الأسرة الشاذة !

لاتر : أنا لست نذلا يا هارولد .

هـارولد : أنت وشأنك .

لاتر : انها صدمة بالنسبة لأخواتك .

هـارولد : من حسن الحظ أن ليس عندنا ضيوف كثيرون! مسكينة أمى ! صدقنى . ان هذا يسبب لى ضيقا كبيرا يا چون . ان لم تبذل محاولة ما فلسوف أقع فى ورطة ما بعدها من ورطة .

لاتر : كيف ؟

هـارولد : سيحرم أبى بيل من الميراث ، وفى هذه الحالة سيئول الىّ كل شىء .

لاتر : أوه !

هـارولد : مسكين يا بيل . حقا انها مأساة . نقمة ! ها !

واجب أدبى ! لا أهمية لاختلاف الطبقـات !
والنتيجة ما نحن فيه من هرج ومرج .

لاتر : لقد أساء بيل اساءة بالغة . نعم . سلك سلوكا مشينا .

هـارولد : (بحماس) رويدك ! هناك آلاف من الشبان لن يفكروا البتة فى التمسك بهذه الفتاة لعلمهم بخطورة عمل كهذا .

لاتر : أمر يدعو للاشمئزاز حقا !

هـارولد : تبا لك يا چون ! أتجردت من كل عاطفة انسانية؟ ألا تعلم كيف تحدث مثل هذه الأمور ؟ انهـا أشبه شيء بشرارة نار فى جرن به قش .

لاتر : ما من أحد يدخل جـرنا كهذه ومعه غليون مشتعل اللهم الا اذا كان مأفونا أو ما هو أسوأ .

هـارولد : ها ! (عابسا) . منطق رجل لا يدخن (١) . رحم الله أياما مضت ، فما كان أحد ليهتم بأمر كهذا ، نعم ، ان جد أبى ..

لاتر : بالله هلا أعفيتنى من حكاية جد أبيك هذه ؟

هـارولد : بل وهناك كثيرون أعرفهم مروا بالتجربة ذاتها

---

(١) بحكم مذهبه البيوريتانى (المترجم)

وخرجوا منها دون أن يغرموا شيئا . أما الآن فلأن بيل يريد أن يلتزم قواعد الشرف ، فانها ستحطمه .

لاتر : ولم لم يلتزم قواعد الشرف منذ البداية ؟

هارولد : ان مثلك لا يطاق يا چون . عندما يحدث شيء كهذا فان كل ما تستطيعون عمله أنكم تصيحون « ويله لم لم .. ؟ وهى ، لم لم .. ؟ ولكن الفكرة هى ماذا يجب عمله .

لاتر : قطعا ، عليه أن ..

هارولد : هـا !

لاتر : ماذا تعنى بذلك ؟

هارولد : اصغ الىّ يا چون ! انك تشعر فى قرارة نفسك ، تماما كما أشعر أنا ، بأن زواجا كهذا مقضىّ عليه بالفشل ، فأنا أعرف بيل والفتاة وكل دقائق الموضوع ! أليس كذلك ؟

لاتر : حقا انها لمأساة من البداية الى النهاية .

هارولد : والله صدقت !

كيث وكريستين يدخلان أثناء حديثه قادمين من حجرة البلياردو . كيث مازال

في ملابس الصيد وعليها آثار رشاش ماء ٠
أسمر البشرة بفعل تعرضه للجو ٠ رفيع
الشفتين ، صموت ، يشعل سيجارة ويغوص
في مقعد وثير ٠ تأتي في اثرهما ، متسللتين.
دوت وچين)

كريستين : لقد أنبأت روني .

چين : ان انتظارنا هذا لأخبار أبينا فترة عصبية حقا .

هارولد : (مخاطبا كيث) أين تركت العجوز ؟

كيث : في كلاكنهام . سيصل في ظرف عشر دقائق .

دوت : أعلمتم ؟ سترحل ميبل بين لحظة وأخرى (ينتابهم اضطراب من يتنبه الى وجود مشكلة جديدة) . لقد ذهبت الى جريسلي وأبرقت بنفسها .

هارولد : أف !

دوت : وسنودعها وكأن شيئا لم يحصل .

هارولد : الأمر متروك يا روني . تصرّف كيفما شئت .

(كيث ينظر الى جين وينفث الدخان ببطء٠
لاتر يتأبط ذراع چين ويجذبها معه الى
حجرة البلياردو)

كيث : ما رأيك يا دوت ؟

دوت : ليس الفرار من طبيعتى

كيث : أرأى أحدكم الفتاة منذ ذلك الحين ؟

دوت : نعم .

هارولد : أين ؟

دوت : انها جالسة هناك .

كريستين : (بصوت يغلب عليه القسوة) تماما كما نجلس نحن .

دوت : انها غاية فى الرقة وهنا المأساة ! لو أن الناس أحسوا ..

كيث : عليها أن تشنف اذنها ، ككل واحد منا ، بلحن القيل والقال .

دوت : لحن ! قل صَئِىٌ جرذان ! .. أف . أرى الموضوع كله أشبه شىء باكورديون بين ثنى ومد .

(يفتح الباب فيلتفت الجميع . يدخل خادم يحمل صينية عليها أقداح الويسكى وشراب الچن والليمون وماء الصودا ، يضع الصينية وسط سكون مطبق)

هارولد : (يتكلم بجهد) أركبت اليوم يا رونى ؟ (رونى يومىء علامة الايجاب) كم ميلا قطعت ؟

كيث : ثمانية أميال .

الخادم : أتتناول قدحا من الشاى يا سيدى ؟

كيث : كلا يا تشارلز . شكرا !

(يخرج الخادم وسط سكون شامل وينظر الكل فى اثره)

هارولد : (هامسا) يا الهى ! انها مشكلة .

كيث : ترى ما العمل ؟

كريستين : الأمر كله وقف على أبى .

كيث : سيكون سير وليم بين نارين . هذا ما أفهمه .

كريستين : لابد أنه سيمنع ذلك بطبيعة الحال .

كيث : هكذا ! انها مشكلة عويصة حقا . رجل يؤم أسرته فى صلاتها ويلقى عليهم عظات الأحد يمنع ابنه من ..

كريستين : رونى !

كيث : سبحان الله ! اننى لا أقول ان بيل ملزم بزواجها . نعم عليها أن تصمد لمحنتها ، ولكنى أقول ان أباك سيواجه مهمة عسيرة اذ يجابه هذا الموقف .

دوت : شيء طريف جدا !

كريستين : (ثائرة) ماذا تعنين يا دوت ؟

دوت : حيرته بين التمسك بالمثل والمحافظة على اسم العائلة .

كريستين : هــراء !

هـارولد : ما أعجب أمركم ! أراكم تقولون وتعيدون فى غياب بيل .

كـيث : نـ .. نعم . يستطيع سير وليم أن يحرمه كوريث له ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تقف فى سبيل انتقال لقب الأسرة الى هارولد ان فضّل بيل أن يكون ذلك الـ .. (يتنفس بصـوت مسموع) .

هـارولد : لن أقبــل حقا من حقوق بيل ، ولا أظن أن واحدة منكن تقبل ذلك ..

كريستين : بالطبع كلا .

كـيث : (يربت على ذراع زوجته) ليس هذا موضع نقاشنا .

دوت : لو لم تكن فريدا وصيفة أمى لما كانت أقل شأنا من معظم فتيات طبقتنا . لم لا يتزوجها ويرحل الى كندا ؟ هذا عين ما خلق له .

هـارولد : اسكتى يا دوت !

دوت : وافرحتاه ! تصوروه وهو فى البرلمان ! هـذا ما سيصل اليه حتما ان هو بقى هنا .. هنيئا به لهذا الوطن !

كريستين : كفاك سخرية . لابد لنا من طريقة نمنع بها بيل .

دوت : أنا أسخر منه !

كريستين : دعنا نذهب ونتوسل اليه يا رونى !

كـيث : عبثا نحاول . هناك أمل واحد ، ولا أمل غيره — الفتـاة .

دوت : انها فتاة لا جرأة لديها .

هـارولد : ذنبك يا دننج . حقا ، كما تدين تدان . مسكين يا أبى !

كريستين : ليس هذا مجال تندر يا هارولد .

دوت : (متجهمة) لا شك أن العجوز ستدنهام خير من معظم الأصهار .

كـيث : شكرا !

كريستين : انها مهزلة .. نكبة ! شىء أغرب من الخيال !

هـارولد : (رافعا يده) ها قد أقبل جواده . لقد وصل ،

(يتحولون من سماع الصوت ليروا ليدى تششير وهى قادمة من حجرة البلياردو . وجهها ممتقع . الجميع ينهضون . دوت تطوقها بذراعها . كيث يقدم لها مقعده بينما يعود لاتر وچين متسللين ، خلفها) .

ليدى تششير : شكرا يا رونى ! (تجلس) .

دوت : أماه . انك ترتعشين ! أأحضر لك فراء ؟

ليدى تششير : كلا يا عزيزتى ، شكرا !

دوت : (بصوت خفيض) تشجعى يا أماه !

ليدى تششير : (تعتدل فى جلستها) ما أخبار هوايتك ؟

كيث : لا بأس يا سيدتى ، لقد ركبت اليوم من سد « بريزير » الى سد « كافين » فى خط مستقيم .

ليدى تششير : والفرس الصغير ؟

كيث : كل عيبه أنه يجفل قليلا (يضع يده على كتفها) ابتهجى يا حبيبتى .

كريستين : أماه . أيجب أن نصارح أبى ؟ رونى من رأيه أن الحل فى يدها . ألا تستطيعين استخدام تأثيرك عليها ؟

(ليدى تششير تهز رأسها)

كريستين : ولكن الأمر جد خطير يا أماه !

دوت : اخرسى يا كريس ! أمى قطعا لا تستطيع ذلك . كيف تتوسل اليها أن تبرىء ذمتنا ؟

كريستين : ولكن لابد من وسيلة . أيه وسيلة . ماذا تشعرين فى قرارة نفسك يا أماه ؟

دوت : دعى أمك لحالها !

كريستين : كلا ، لابد من مواجهة الموقف الآن والا ضاعت الفرصة الى الأبد .

دوت : (بصوت خفيض) أليس لديك ذرة واحدة من الكرامة ؟

كريستين : لسوف نصير أضحوكة أهل المقاطعة كلها . أرجوك يا أماه تحدثى اليها . أنت تعلمين أن زواجهما معناه شقاء الاثنين (ليدى تششير تومىء برأسها) . هل وافقت ؟

(ليدى تششير تهز رأسها)

كريستين : ولا حتى من أجل بيل ؟

دوت : كريس !

كريستين : اذن أستحلفك بالله يا أماه أن تتحدثى الى بيل ثانية . يجب أن نتوسل اليه .

ليدى تششير : انه مع أبيك الآن .

هارولد : مسكين يا بيل !

كريستين : (مندفعة) انه لم يفكر فينا ! هذه الفتاة الحقيرة !

ليدى تششير : كريس !

كريستين : ان لكل شيء حده .

ليدى تششير : الا فيما يتصل بضبط النفس .

كريستين : كلا يا أماه ! لا يمكنني .. لن يمكنني أبدا أن .. لابد من عمل شيء . أنت تعرفين طبيعة بيل ، يجمح ويندفع عندما لا ينظر أمامه . أوه ! حاولى ، أرجوك ! ثقى أنه انصاف لها ولنا جميعا !

ليدى تششير : (بأسى) من الأشياء ما لا يمكن للمرء أن يفعله .

كريستين : حتى ولو كانت من أجل بيل ؟ أعتقد انك تستطيعين أن تثنيها عنه . مجرد أن تقولى كل ما فى وسعك . ثم لا تنسى هذه الحقيقة — لن يؤثر ما ستلده على سمعتها كما لو كانت فتاة من طبقتنا . لا أحد غيرك يستطيع ذلك يا أماه .

أناشـــدكم جميعا أن تضموا صـــوتكم الى صـــوتى .

(الكل ينظر الى ليدى تششير وهم فى لهفة نابعة من صميم أنفسهم على تحقق نشدة كريستين • ليدى تششير تنقل بصرها من وجه الى آخر وتحرك يديها وكأنها تعـانى ألما عضويا) •

كريســتين : (بدعة) أماه !

(ليدى تششير تنهض فجأة وهى تنظر الى باب حجرة البلياردو وتنصـــت • الجميع يتتبعون نظرات عينيها • تعاود الجلوس وتمر بيدها على شفتيها • هنا يدخل سير وليم فى ملابس الصيد وقد علاها رذاذ ماء• وجهه مكفهر جامد القسمات ، يتجه نحو المدفأة دون أن يرنو الى أحـــدهم ثم يقف يحملق فى جمراتها ، الكل ، فيما خلا ليدى تششير ، يتسلل خارجا فى هدوء تام) .

ليدى تشـــشير : ماذا فعلت ؟

ســـير وليم : انتظرى !

ليدى تشـــشير : لا تتركنى متلهفة هكذا !

ســـير وليم : ذلك الأبله ! رباه ! دوروثى ! ما ظننت أننى منيت بوغد ليكون ولدى ، ذلك المخبول ، أبله الصفقة !

ليدى تشـشير : (تنهض) لو أنه كان وغدا لما كان ذلك الأبله الذى تسمّيه .

سـير وليم : (يحملق بغضب ثم ينحنى لها انحناءة خفيفة) جميل جدا !

ليدى تشـشير : (بصوت خفيض) بيل ، لا تكن قاسيا . انها مشكلة مريعة حقا !

سـير وليم : اجلسى يا عزيزتى .

(تستأنف الجلوس فى مقعدها ويعود هو الى المدفأة)

سـير وليم : ما حدث قط طيلة عمرى أن واجهت موقفا كهذا . (يقبض على رف المدفأة بعنف حتى ترتجف يداه وذراعاه) أنت تطلبين منى أن أهدىء من روعى . هذا ما أحاوله فعلا ، ولكن هلا تفضلت، من جانبك ، بألا تقفى فى صفه ضدى ؟

ليدى تشـشير : بيــل !

سـير وليم : دعينى أفكر . أعلم أنك عرفت هذا .. الخبر منذ صباح اليوم . أما أنا فقد عرفته منذ عشر دقائق ، لذا أعطينى بعض دقائق من فضـلك (فترة صمت) أين الفتاة ؟

ليدى تشـشير : فى حجرة الأشغال .

سـير وليم : (رافعا جمع يده) وماذا ، بالله ، ينوى ؟

ليدى تشـشير : ماذا قلت له ؟

سـير وليم : لا شىء .. بمعجزة . (يبتعد عن النار ويذرع الغرفة جيئة وذهوبا) ان أسرتى يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر . انهم الآن يسخرون من كل شىء .. حتى كلمة فتاة راقية ، يسـخرون منها .. لقد تزوجتك أنت ولم أتزوج .. البطل الهمام تزوج وصيفة أمه ! يا الهى ! دوروثى ! ماذا جنيناه لنستحق هذا كله ؟ انها والله ضربة قاصمة ! ولكننى لست على استعداد أن أجلس فى سـكون أنتظـر وقوعها . أجـل (بشراسة مباغتة) أعلم أن هناك كثيرين فى أيامنا هـذه سيهللون لحدوث هـذا . كثيرون من هـؤلاء الاشـتراكيين والراديكاليين الملاعين سيطيرون فرحا لأمر لا يدرون — بغبائهم — أنه مأساة . أى والله ، ستكون مأساة لى ولك ولنا جميعا . لقد نشأنا آباؤنا ، أنا وأنت ، ونشأنا نحن أبناءنا على معتقدات ومطالب وعادات معينة ،

ولن يستطيع انسان أن ينبذ ماضيه .. أن ينبذ تقاليده . انها .. انها كيانه ! (فجأة) لن أسمح بهذه المهزلة .

ليدى تششير : وكيف السبيل الى منعها ؟

سير وليم : انني لا أوافق بتاتا على هذا العمل الجنوني . سأمنعه .

ليدى تششير : ولكنك لن تستطيع أن تمنع ما فى أحشائها .

سير وليم : سأمنحها نفقة من أجله .

ليدى تششير : والقانون غير المكتوب !

سير وليم : ماذا تقولين ! (يدرك فجأة ما تلمّح اليه) تقصدين ذلك الشاب .. ذلك الشاب .. (بعد برهة) ولكن شتّان ما بين الاثنين .

ليدى تششير : من المؤلم حقا أن يحاول ولدنا أن يفعل ما يمليه عليه صوت الولاء بينما نحن .. أبوه وأمه .. !

سير وليم : ثقى لن أقف موقف المتفرج وأكبر أبنائى يحطّم حياته . لابد أن أفكر فى مخرج له .

ليدى تششير : (هامسة) لقد حاولت هذا دون جدوى .

سير وليم : هذه الفتاة التى ولدت فى ضيعتنا ورتعت فى كنفنا وترعرعت على ما أجريت عليهم من

رواتب .. لم تلق منا سوى كل عطف واحسان ،
فماذا كان جزاؤنا ؟ .. كفرت بقواعد اللياقة
وعرفان الجميل .. أغوته ، أجل ، أغوته !

ليدي تشـشير : (مخاطبة نفسها) أظنه حسنها .

سـير وليم : رباه ! انه الخراب بعينه . لقد عشنا هنا طيلة
حياتنا . ماذا يكون شأننا ، بحق الشيطان ، ان
نحن رحلنا عن هذا المكان ؟ ثم أتظنين أنه يمكننا
العيش هنا وأن نخرج لنقابل هذا وذاك كعادتنا
وكأن شيئا لم يقع ؟ وداعا لمركزنا ، مركزنا
السياسى ، والاجتماعى ، وداعا لكل مركز لنا ..!
ان عملا كهذا من الأمور التى لا يمحوها شىء
آخر . لقد شهدت أمثلة لذلك بنفسى .
أما الموضوع الآخر ، فما أسرع ما يطويه
النسيان .. نعم ، ان جدّى .. !

ليدى تشـشير : أتشفع لنا روايته ؟

سـير وليم : (يحملق أمامه فى سكون — فجأة) اذهبى
الى الفتاة . انها رقيقة ولن ترفض لك طلبا .

ليدى تشـشير : لقد فعلت ذلك قبل أن أعلم ما يحمله لها الغد .
أفرغت كل ما فى جعبتى . لذا لا أستطيع أن

أذهب اليها ثانيـــة . بالله كيف يمكنني ذلك يا بيـــل ؟

ســـير وليم : اذن فماذا أنت فاعلة ؟ أتقفين مكتوفة اليدين ؟ (ليدى تششير تصدر عنها حركة تنم عن ألم) انه ان تزوجهـــا فسأقطع كل صـــلة لى به . سأمحوه من حياتى . أما لقب الأسرة .. ليس بوسعى أن .. يا الهى ! أيرضيك هذا !

ليدى تشـــشير : (فى سورة غضب مباغتة) ليس من حقك أن تخيِّرنى على أساس عاسف كهذا . انى على استعداد أن أنزل عن عشر سنوات من عمرى لأمنع هذا الزواج . سأذهب الى بيل . سأتوسل اليه ولو اقتضى الأمر أن أركع تحت قدميه .

ســـير وليم : ولم لا تذهبين الى الفتاة ؟ انها لا تستحق أى اعتبار منا . ليست المسألة مســـألة أخلاق . ألا تبا للأخلاق !

ليدى تشـــشير : أما الكرامة فلا .

ســـير وليم : ماذا تقولين ! انك أمه .

ليدى تشـــشير : قلت لك اننى ذهبت اليهـــا وحاولت ، ولكن

الكلمات (تضع يدها على حلقها) احتبست فى حلقى .

سير وليم : (محملقا اليها) اذن فلن تذهبى ؟

ليدى تششير : كان بودى أن أفعل ذلك يا بيل ولكنه يبدو لى عملا خسيسا دنيئا .

سير وليم : ما عهدت فيك طيلة حياتنا الزوجية معارضتى . انى أستنكر هذا ، وأحذرك .. أستنكره . أرسلى الفتاة الىّ .

(تخرج ليدى تششير الى الممر بعد أن تتطلع خلفها اليه) .

سير وليم : يا لها من خاتمة طيّبة ليومى !

(يتناول كوبا من الخزف من على رف المدفأة فيتهشم تحت ضغط يده ويتساقط فى المدفأة · يقف ينظر اليها ساهما واذ به يسمع طرقة على الباب)

سير وليم : ادخلى !

(تدخل فريدا من الممر)

سير وليم : لقد بعثت فى طلبك كى .. (مشيرا الى مقعد) اجلسى ان شئت .

(تتقدم بضع خطوات ولكنها لاتجلس)

سير وليم : انه لأمر مؤسف حقا .

فـــريدا : (هامسة) نعم يا سير وليم .

ســير وليم : (مدركا شدة حساسيتها) .. هل .. هل طلب ابنى الزواج منك ؟

فـــريدا : (هامسة) نعم .

ســير وليم : انه ليؤلمنى حقا أن اضطر الى هذا . (يبتعد عنها ويتكلم وهو يحملق فى النار) لقد بعثت فى طلبك .. كى .. أطلب اليك .. (بسرعة) ما سنك ؟

فـــريدا : اثنتان وعشرون .

ســير وليم : (بمزيد من الاصرار) أتتوقعين منى أن .. أوافق على فكرة زواج جنونى كهذا ؟

فـــريدا : أنا لا أتوقع شيئا .

ســير وليم : لعلك تعلمين .. أنك حتى الآن لا حق لك علينا .

فـــريدا : لم يحن الوقت بعد !

ســير وليم : ماذا ! هذا لن يساعدك . على العكّس . والآن تشجعى واصغى الىّ !

(تقف تترقب سماع الحكم الصادر ضدها.
سير وليم ينظر اليها ، ثم تختلج نظرته)

ســير وليم : ليس عندى كلمة واحدة أدافع بها عن ولدى . لقد سلك سلوك وغد .

فـــريدا : أوه ! كلا !

ســـير وليم : (باشارة مسكته) ولكن .. ماذا أنساك نفسك ؟ لعلك تعرفين أنه لا عذر لك .

فـــريدا : نعم .

ســـير وليم : لسوف تستحقين ما تنالين . ألا تبا لذلك ! أن تنتظرى منى أن .. هذا لا يطاق ! أتعرفين أين ابنى الآن ؟

فـــريدا : أظن أنه فى حجرة البلياردو مع سيدتى .

ســـير وليم : (يستعيد اصراره) لقد أردتُ أن .. أن أصارحك .. باعتبارى .. باعتبارى .. ماذا أقول ! (يراها وقد وقفت جامدة فى مكانها . يستدير فجأة ويفتح باب حجرة البلياردو) سأتحدث اليه أولا . بيل ، تعال ! (لفريدا) ادخلى أنت وانتظرى !

(تدخل ليدى تششير ومعها بيل . تمر فريدا من أمامها وتدخل حجرة البلياردو لتنتظر)

ســـير وليم : (برهة صمت بين كل جملة وأخرى) لقد تناقشت مع أمك فى هذه .. النكبة ولا أظن

الا أنك تدرك بشاعتها ، لذا أرى لزاما علىّ
أن أصارحك بهذا .. ليكن معلوما لديك أنك ان
أقدمت على هذه الحماقة فلن تنال منى شيئا
منذ اليوم . انى أفعل هذا لا لشىء الا حرصا
على مركز أسرتنا الذى احتفظنا به جيلا بعد
جيل . سيحل أخــوك محلك . وسنمضى فى
حياتنا ، كأحسن ما يكون ، دونك . (سكون
مطبق . يعاود الكلام فى حدة) ما رأيك ؟

بيــل : سأتزوجها .

ليدى تشــشير : أوه ! بيل ! دون حب .... دون أى شىء !

بيــل : أرجــوك ياأماه ! (مخاطبا سير وليم) لقد
أخطأت فهم ابنك ياسيدى . ليس معنى أننى
أعبث هنا وهناك ، أننى أعبث فى كل الأمور .
بالأمس هددت دننج بسوط عقابك ترغمه على
الزواج واليوم تشهره فى وجهى لتمنعنى من
الزواج . اصنع ما شئت (يستدير ليخرج) هات
ما عندك .

ليدى تشــشير : بيل !

بيــل : (يستدير اليها) لن أتخلى عنها فى محنتها .

سير وليم : لا تتجن على واعترف أننى لم أحاول أن أحثك على ذلك .

بيل : صحيح ! لقد طردتنى . أكان بوسعك أن تفعل أكثر من ذلك فى ظروف كهذه ؟ لا بأس . ولكنك ان كنت تريد أن أتنكر لها يا أبتاه فقد ضللت السبيل الى غايتك ، اذن فكلانا يفتقر الى تبصر العواقب .

سير وليم : أتدرك حقيقة وضعك ؟

بيل : (متجهما) عندى فكرة واضحة .

سير وليم : كلا ، بل ولا حتى خيالها . ولكنى أعذرك بحكم تربيتك .

بيل : لست أنا المسئول عن تربيتى .

سير وليم : (بحركة غضب جامح يتجاوب لها ابنه) أنت ... أيها الكلب الجحود !

ليدى تششير : كيف تجرؤان ..... ؟

(يطرقان ببصرهما ويقفان صامتين)

سير وليم : (بغضب كظم) اننى أتكلم من فرط ألمى .... يجب عليه أن يحترم رأيى . انها نكبة ما توقعت يوما أن أواجهها . صدمة ما أحسب أننى

سأنساها طيلة عمرى ، بل سأظل أرزخ تحت
وطأتها حتى أموت هكذا سيكون شأنها جميعا .
لقد لازمنى النحس طيلة عمرى فجعلنى أومن
بأهمية مركزنا هنا ... أومن بأننـا أسرة لهـا
شأنها وخطرها ..... وأن البلد فى حاجة الينا ...
ثم ، فى لحظة واحدة ، يتبدد كل شىء ... وكأنه
سراب . ان تصرفك لا يتفق وفلسفتى فى الحياة ،
فمن غير الطبيعى اذن أن أوافقك على هـذا
الزواج .

بيـل : أعلم ذلك ، ومعذرة . ولكننى تسببت لها فى
هذه الـ . ولا أجد مخرجا آخر . انه لأمر مؤلم
بالنسبة لى يا أبتاه كما هو مؤلم بالنسبة لك ..

(يتوقف اذ يدخل چاكسـون ، ويقف فى
مكانه منتظرا) .

چاكسون : أتتفضل بالحديث الى ستدنهام يا سير وليم ؟ عن
دننج خادمك .

(فترة سكون مطبق . سير وليم يهز رأسه
موافقا فينسحب رئيس الخدم)

بيـل : (باصرار) أظن من الأفضل أن نصارحه .

سـير وليم : أجـل .

(يدخل ستدنهام ويلمس جبهته باشارة موجزة)

ستدنهام : مساء الخير يا سيدى ! مساء الخير يا سير وليم !

ستدنهام : يسعدنى أن أخبر سيادتكم أن خادمكم دننج سيفعل ما يمليه عليه الواجب . لقد طلب الىّ أن أنبئك بذلك يا سيدى . سيذاع نبأ زواجهما فى الكنيسة يوم الأحد القادم . (يذهله الصمت فيلتفت حوله الى ثلاثتهم ، كل بدوره ، وفجأة تقع عيناه على ليدى تششير وهى ترتجف) معذرة يا سيدتى . أراك ترتعشين .

بيل : (يطلق الخبر فجأة) عندى نبأ مؤلم لك يا ستدنهام . لقد خطبت ابنتك وسوف تتزوج فورا .

ستدنهام : لا أفهم .. شيئا .. مما تقول .. يا سيدى .

بيل : الواقع يا سيدى أننى أسأت سلوكى .. ولكننى عازم على اصلاح خطئى .

ستدنهام : أكاد لا أفهم شيئا . أقلت .. ابنتى ؟

سير وليم : لا أرى فائدة من تخيّر الألفاظ يا ستدنهام . انها بالاختصار كارثة .. مأساة دننج مرة ثانية .

ستدنهام : لست بقادر على فهمك . تقول انها .. انك ..
لابد لى أن أرى ابنتى . هل تفضلت يا سيدتى
فبعثت فى طلبها .

(ليدى تششير تتجه الى حجرة البليياردو
وتنادى « فريدا . تعالى هنا من فضلك »)

ستدنهام : (مخاطبا سير وليم) تقول ان ابنتى فى نفس
وضع تلك الفتاة بسبب ابنك ؟ والله لقد لقى
رجال حتفهم ثمنا لجرائم أقل !

بيل : ان كنت تريد أن تطلق النار علىّ يا ستدنهام ..
فأهلا بك .

ستدنهام : (محولا عينيه عن بيل لعلمه ببلاهة تتمة كلامه)
لقد قضيت فى خدمتكم خمسة وعشرين عاما
يا سير وليم ولكن الموقف الآن موقف رجل
أمام رجل مثله . نعم !

سير وليم : لا أنكر عليك هذا الحق يا ستدنهام .

ستدنهام : (يجيل النظر حوله وقد تولاه الغضب) كلا ..
هذه ليست مسألة هينة . أفهمته يقول انه يعرض
الزواج عليها ؟

سير وليم : نعم .

ستدنهام : (يتكلم وهو يعبث بلحيته) عظيم ! (يحرك يديه وكأنه يلوى عنق طائر) اننى أحاول أن أتبين الموضوع من كافة نواحيه .

سير وليم : (بمرارة) لقد وقع المحظور ولا خيار لك يا ستدنهام .

(ستدنهام يعاود حركة لوى يديه دون وعى منه)

ليدى تشـشير : (تشيح عنه بوجهها مرتاعة) بالله لا تفعل ذلك يا ستدنهام !

ستدنهام : أفعل ماذا يا سيدتى ؟

ليدى تشـشير : (هامسة) يـ .. يديك !

(ستدنهام يحملق فيها بينما تظهر فريدا بمدخل الباب وقد وقفت كشبح متشح بالسواد)

ستدنهام : تقدمى ! ويلك ! (فريدا تتقدم بعض خطوات نحو أبيها) متى بدأت هذه العلاقة ؟

فـريدا : (بصوت لا يكاد يسمع) فى الصيف يا أبتاه .

ليدى تشـشير : لا تقسُ عليها !

ستدنهام : أقسو ! (يجيل عينيه ثانية من جانب الى آخر وكأن الألم والغضب قد أذهلاهما ، ثم ينظر

بطرف عينه الى فريدا ولكنه يتكلم بصوت أكثر رقة) ومتى صارحته بـ .. بما حدث لك ؟

فريدا : ليلة البارحة .

ستدنهام : ويحك ! (متوعدا على حين غرة) أيتها .. (يحرك احدى يديه بطريقة عصبية ، ثم يبدو ، فى وسط السكون ، وقد فقد السيطرة على أفكاره فيرفع يده الى رأسه) أريد أن أستعيد صفاء ذهنى فقد اختلط علىّ الأمر . (دون أن ينظر الى بيل) أقلتم ان هناك خطبة ؟

بيل : فعلا ، وما زلت عند وعدى .

ستدنهام : أوه ! (بغضب تدريجى مذهول) أريد بعض الوقت لأفهم حقيقة الموقف . ألديك ما تقوله يا سير وليم ؟

سير وليم : الحقائق كلها مطروحة أمامك .

ستدنهام : (يكاد لا يحرك شفتيه) وسيدتى ؟

(ليدى تششنير تلتزم الصمت)

ستدنهام : (متلعثما) لقد كانت ابنتى .. كانت أهلا لأى شاب ، فلا يصح بسببه أن .. أن .. تحتقر (مخاطبا فريدا) أسمعت هذا العرض الكريم

المقدم اليك ؟ ما رأيك ؟ (فريدا تبلل شفتيها وتحاول الكلام ولكنها تعجز عن ذلك) عجبا ! ان لم ينطق أحدكم بكلمة فلن تتقدم كثيرا . أود أن أعرف رأيك يا سير وليم .

سير وليم : رأيى أنا .. ان تزوجها فعليه أن يشق طريقه بنفسه .

ستدنهام : (بشراسة) ليس هذا ما أفكر فيه .

سير وليم : وأنا ما ظننت أنك تفكر فيه يا ستدنهام . يبدو أن الأمر رهين برأى ابنتك . (يخرج منديله فجأة ويضعه على جبهته) رأسى يكاد ينفجر .

(ليدى تششير ، وقد عاودتها رعدتها كمن يعانى بردا شديدا ، تبذل قصارى جهدها فى السيطرة عليها)

ستدنهام : (بغتة) ان لحياة الترف ثمنها . (مخاطبا فريدا) تكلمى .

(فريدا تستدير ببطء وتتطلع الى وليم • يرفع يده لا اراديا الى فمه ، تمدبصرها حتى تستقر عيناها على ليدى تششير قبالتها وقد بدت شاحبة شحوب الموتى حتى ليحسبها الرائى وكأنها على وشك الاغماء • تحول نظرتها ، بعدئذ ، الى بيل وقد وقف جامدا مطبق الفكين) •

فـــريدا : أريد .. (ثم تطوّح ذراعها الى أعلا لتضعها على عينيها ثم تدير وجهها عنه) كلاّ .

ســـير وليم : آه !

(ستدنهام ، وكان يتابع نظرات ابنته ، يتقدم نحو سير وليم حال سماعه يتنهد بارتياح ، وقد تحولت كل عاطفته الى كبرياء غضوبة حرة)

ستدنهام : لا تخف يا سير وليم ! نحن لا نريد أحدا منكم . انها لن تفرض نفسها حيث لا تجد ترحيبا . من الجائز أنها فقدت سمعتها ، ولكنها ستحتفظ بكبريائها . لن أسمح فى أسرتى بزواج تتصدقوا علينا به .

ســـير وليم : كفى يا ستدنهام .

ستدنهام : ان كان ابنكم قد سئمها فى بحر ثلاثة أشـــهر كما يبدو ذلك لأعمى من نظراته فهى ليست له !

بيـــل : (يتقدم) أستطيع أن أعوّضها .

ستدنهام : مكانك يا هذا ! (يمسك بفريدا وينظر حوله) انها ليست أولى ضحايا بنات جنسها منذ الأزل ولن تكون الأخيرة . والآن هيا بنا . هيا .

(يسحب فريدا من كتفها ويتقدمها الى الباب) .

سير وليم : ويحك يا ستدنهام . أشهد لنا ببعض الفضل ودعنا نعرضها .

ستدنهام : (يستدير وبوجهه وعينيه اشراقة أضفتها شكاة باسمة) آه انى أشهد لكم بذلك يا سير وليم ، ولكن من الأشياء ما لا يمكن تعويضه .

(يتبدد هدوء سير وليم حال غلق الباب . يترنح أمام زوجته ويغوص بكل ثقله ، كمن هده الاعياء ، فى مقعد بجوار المدفأة. بيل يتبع فريدا وستدنهام ثم يقف عند الباب المغلق . ليدى تششير تتجه نحوه بسرعة . باب حجرة البلياردو ينفتح وتظهر دوت . تتلفت بسرعة حولها ثم تعبر الحجرة الى أمها)

دوت : (بصوت خفيض) ميبل على وشك الرحيل يا أماه (هامسة) أين فريدا ؟ هل .. أحقيقة كان لديها تلك الجرأة ؟

(ليدى تششير تومىء برأسها علامة الايجاب وتخرج الى حجرة البلياردو . دوت تشبك يديها وتقف فى وسط الحجرة تنقل بصرها بين أخيها وأبيها . ابتسامة مشفقة باهتة غريبة تداعب شفتيها . تهز كتفيها هزة خفيفة)

ســـــتار

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوچين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلى
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبـــة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	الخصى	ترنتيوس آفـــير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بـــيرجينت	هنريك ابسن

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت .

روائع
المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :
مكتبة الخانجى - القاهرة ، ومكتبة المثنى - بغداد
ودار العلم للملايين - بيروت ، ومكتبة المنار - تونس
ومكتبة الرشاد - الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي بالقاهرة

مطبعة مصر
سبتمبر ١٩٦٤

الثمن ٥ قروش